نظرية المستشرق فك تيار العامية ومجاورتها للعربية الفصيحة بين التاريخانية والتأصيل

عذراء محمد راغب التميمي

Abstract

The search in the evolution of words and methods of language can not access it to specific aware of the results of the dimensions of the language unless it addresses the search specialist team in Science that language and the evolution of lexicon chronologically and socially, and what he did Orientalist decoding Although intellectual effort and ideological historical approach to the individual often consider each what respect Bamolob meager result came at the very least in the assessment of the distribution of a religious character in a large area of Central Asia until the Pyrenees language within laws are of time and stability strongly in San population that came out the Arabic language from native them did not come out only a few notes presented this Find the value of reading in the study of the language of thought to its owner who wanted her to be a source For scholars in their respective fields.

المقدمة

ينظر المستشرقون الى اللغة العربية على أنها القرآن وينظرون للقرآن على أنه دستور العربية ، لعناية العرب والمسلمين قاطبة بدراسة الفاظه وتراكيبه وصوره ومعانيه؛ إذ نشأت علوم على أثر استقرار الاسلام في العراق والشام إبان العصر العباسي تُعنى باساليب القرآن وحقيقته ومجازه ،وظهر النحو لسبب رئيس الحفاظ على لغة كتاب الله من اللحن. والقرآن أول كتاب مدون عند العرب من وجهة نظر الاستشراق بوصفه تراثا لغويا نثريا ، عُنيت السياسة الاسلامية بتدوينه وجمع أمّة الاسلام على لغة واحدة فيه ـ ذلك أن القرآن دستور الاسلام ومصدر التشريع الأول فيه ـ إلاّ أنه كتاب نزل على أفصح قريش رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، في زمن لم يكن من العسير على مَن عاصر رسول الله قراءته وفهمه .

بعد مرور مئة ونيّف من السنين وجد العرب والمسلمون أنفسهم أمام شعوب اسلامية متعددة الأجناس ، وولِد لكثير منهم أجيال هجينة من العرب المخالطين غيرهم، فضلا على الموالي من

الزنج والفرس والأروام وغيرهم، وعلى رغم وجود شعراء فصحاء بينهم ولغويين (بشار بن برد، ابي عبيدة) إلاّ ان كثيرا منهم كان ينطق زمن الرسول وبعده بقليل عربية هجينة.ولو نظرنا بامعان فيما كتب المستشرقون في تاريخ العربية واساليبها وتاريخ التأليف فيها نجده لاينفصل بحال عن السياسة؛ فهي لغة محميّة سياسيا منذ ألف واربعمئة ونيف من السنين ذلك أنها لغة السيادة العربية ، حفظها الله شاء من شاء وأبى من أبى في كتابه الكريم على الرغم من نكران الاستشراق ورجاله ذلك وحصر السيادة في لغة العرب للعرق العربي الخالص الذي كانت العربية أداته للاحتفاظ بالسلطة الشرعية قرونا طوال .ولأنها لغة البداوة والصحراء التي تحتفظ بتقاليدها دافعة التغيير بعيدا اطول مدة من الزمن ، فقد وجدت طريقها لتقدير من يتعلمها من الموالي والنصارى واليهود المتعايشين مع المسلمين واستطاع كثير منهم تعلمها وإجادتها ووجدوا طريقهم للاستيزار بوساطة اتقانها ، حتّى وجدنا في أصحاب الوزارة والقضاء مترسلين ونحاة في العربية،فالعربية لغة سياسية في تطورها وثبات استمرارها على خريطة اللغات ، وهو مفهوم استعماري قديم وجد ذوبان المغلوب والضعيف في ثقافة الغالب، وسنرى الى أي حد فسّر فك مظاهر اللغة وتبادل الالفاظ واستعارتها وتطورها ودلالة الفاظها ضمن أقاليم الامبراطورية الاسلامية على امتداد عصور سيادة الاسلام والحكم العربي .

التقسيم التاريخي هاجس الدراسة الاستشراقية للعربية:

قسم يوهان فك عصر وجود اللغة العربية الفصيحة وقوتها على أربع عشرة مرحلة
أولها :الاسلام يقررمصيرالعربية.
ثانيها الروابط اللغوية في عهد الدولة العربية الأموية، ونال هذا العهد عناية كبيرة منه في محاولة اصطياد النصوص والروايات ومحاولة ايجاد نتائج لها في العصور اللاحقة؛ لتستقيم ونظريته (وجود تيارالعربية الدارجة) الى جوار العربية الفصيحة .
ثالثها: عربية الدولة العباسية ولغة الشعب أوائل العصر العباسي.
رابعها : اللغة العربية في عصر هارون الرشيد.خامسها: العربية المولدة.
سادسها:العلاقات اللغوية في عصر المأمون وعقيدة الاعتزال الرسمية.
سابعها:العربية تصير لغة الأدب الفصحى في النصف الثاني من القرن الثالث.
ثامنها :عربية الأدب في القرن الرابع.تاسعها: العربية ولهجات البدو في القرن الرابع.
عاشرها:العربية واللغة المولّدة في القرن الرابع.
حادي عشر: ظهور اللغة الدارجة في أشعار القرن الرابع.
ثاني عشر: وصف المقدسي للعلاقات اللغوية في المحيط الاسلامي إبان القرن الرابع الهجري.
ثالث عشر:اللغة العربية في عهد السلاجقة.
رابع عشر: عود على بدء، أي أثر المغول على العربية.

وهو تقسيم سياسي بكل ما فيه، قرن اللغة وقوتها وضعفها بعربية الحاكم وعربية دولته،.وشفع ذلك التقسيم بشرح لمادة لحْن. ولتستقيم نظرية اللغة الرسمية الحكومية المفروضة بأمر السلطة نجده في أول كتابه يقول: " لم يحدث في تاريخ اللغة العربية أبعد أثرا في تقرير مصيرها من ظهور الاسلام. ففي ذلك العهد- قبل أكثر من 1300عام - عندما رتل محمد صلّى الله عليه وآله وسلم القرآن على بني وطنه بلسان عربي مبين، تأكدت رابطة وثيقة بين لغته والدين الجديد، كانت ذات دلالة عظيمة النتائج في مستقبل هذه اللغة..وبذلك صارت العربية لغة الطبقات السائدة الموجِّهة في دولة سرعان ما امتدت - في أوج اتساعها وانتشارها بعدسنة 700م - من اسبانيا غربا، إلى أواسط آسيا نحو المشرق." 1 .وحدد لدراسته مصطلحات سياسية أكثر منها أدبية تحليلية، مثل قوله" على حين أن هذا الأثر العظيم ، الذي وجد التعبير الموائم لمحصول جديد برمته، إنما يصوِّرمجهودا لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم جدّ أصيل ، لاينقص من قيمته أن محمدا نفسه كان يرى أنه وحي إلهي." 2. ومع ما قدّم نجده يشير الى معين مساند للغة القرآن تستمد منه الساميات ظواهرها اللغوية تأريخيا " ..وسيظل المعجم العربي دائما الوسيلة المساعدة ، لإلقاء الضوء على التعابير الغامضة ، في اللغات السامية الأخرى ، وإذا حدث ذلك مع التعقل الضروري ، فان كل شيء سيكون على مايُرام . والأشعار نادرا ما تكون مناسبة لإعطاء صورة واضحة عن اللغة البسيطة الحقيقية؛ وأيضا فقد وجد في الشعر العربي، منذ البداية ، ميل معين نحو الصنعة والطريقة .والقرآن كذلك ، لايظهر لنا لغة الحياة إلاّ قليلا، وعلى عكس ذلك، يُظهر لنا بعضها، النثر القديم الموجود في الروايات المتناقلة (الحديث)، وتقدم الحكايات الحقيقية عن أعمال النبي صلّى الله عليه وآله وسلم، وكذلك أخبار حروب ومغامرات البدو في العصر الجاهلي، والاسلامي الأول - كل ذلك يقدم انموذجا حقيقيا للنثر- على الرغم من أن بعضه قد نقح فيما بعد."3 سبقه في هذا نولدكه وهي نظرية استشراقية روج لها أعلام الاستشراق جيلا بعد آخر ؛ لاتستحق الوقوف عليها لتفنيدها ، لأن ناقلها لم يدرك كنه كتب الاعجاز والغريب والاعراب في تفسير القرآن ، ولاطبيعة اختلاف لغة القرآن في نسجها عن لغة الشعر القاصرة عن استعياب التشريع.واول غلط تاريخي وقع فيه تحديده ظهور اللحن بخروج الفتوحات في عهد الاسلام خارج حدود الجزيرة الأول بعد وفاة الرسول صلّى الله عليه وآله وسلم"مباشرة بوساطة غزوات الفتح الاسلامي الكبرى في العهد الاول ، الى خارج حدود الوطن العربي ، في مواطن لغوية أجنبية." 4 وفاته أن أول لحن سمع على عهد الرسول في المدينة (حيْ على الفلاح)وثقه الجاحظ.*وأوقعه منهجه التاريخي السياسي في دراسة انتشار اللغة العربية اقليميا مع الفتوح بعد عهدالرسول صلّى الله عليه وآله وسلم في خلط؛ فنقض رأيه لأنه قارن لغة القرآن الفصيحة - (لغة محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم) كما يدعي الفكر الاستشراقي - بالعربية المولّدة فما الذي عناه بالمولدة وقد اتخذ من لغة القرآن مثالا أعلى للعربية الفصيحة 5،وربط بين حركة العرب المسلمين في الجزيرة وخارجها ودراسة تطور اللغة ودلالة الفاظها وإعرابها ، فابتدأ القسم الأول من كتابه:

- الروابط اللغوية في عهد الدولة العربية الأموية وحاول الى أبعد حدّ ايجاد حدٍّ زمني ثابت في دراسة كل ما يتعلق بالعرب والاسلام مثل قوله:" كانت هجرة القبائل العربية ، عقب وفاة محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم سنة 623/11،إيذانا بشروق عصر جديد للغة العربية ، ففي مدة عشرات من السنين حملت قبائل البادية ، في غزوات الفتح ، لهجاتها نحو الشمال" 6 ومع ذلك فقد كانت الغلبة للغة القرآن ؛ لأن قانون التطور اللغوي يفرض نفسه على اللغة حين يخرج

ابناؤها من بيئة الصحراء الى بيئة الامصار والمدن نجده يُقرّ بذلك مناقضا نفسه قال:" حقا لم يكن ممكنا أن يبقى حد فاصل ، بين الفاتحين العرب والمغلوبين على أمرهم من غير العرب ، قائما على الدوام . لقد كانت توجد في جميع الاقاليم مناطق زراعية ، لم يكن لاحد من السكان الاصليين عليها حق قانوني"7.ووظف أحداث الفتح العربي لاثبات نظريته في بقاء اللغة العربية محتفظة بقوتها وصيغها وقوالبها بعيدة عن تكييف العلاقات اللغوية وتغييرها . ومع ذلك نجده يتحدث عن(لغة تفاهم نشأت ضرورة) واستعانت بـ:

أ- أبسط وسائل التعبير اللغوي " فبّسطت المحصول الصوتي ، وصوغ القوالب اللغوية، ونظام تركيب الجملة، ومحيط المفردات."8.

ب - تنازلت عن التصرّف الاعرابي واستغنت عن مراعاة أحوال تصريف الكلمة.

ج - ضحّت بالفرق بين الاجناس النحوية واكتفت ببعض القواعد القليلة الثابتة في مواقع الكلام.

واستقى كل هذا من قصة تاجر دوّاب استنطقه الحجاج - ذكرها الجاحظ في بيانه 9. ومن العسير على أهل اللغة وعلماء النحو القبول بتقريره شكل اللغة العامية في عهد الدولة الأموية قال:" ولم تكن أقل من ذلك عدداً تلك الجماعات غير العربية ، التي وقعت في الأسر اثناء حروب الفتح ، والتي دخلت معسكرات الفاتحين وبيوتهم عبيدا وإماء، فوجدت نفسها فجأة متغلغلة في جوٍّ لغة عربية مشتركة ، واضطرت الى استعمال لسان السادة ولهجتهم . وفي هذا لقيت العربية على لسان غير العرب تغييرات هدّدت بمسخ صورة وقعها وجَرْسها ، وطبيعة تكوينها وتركيبها في الصميم. وتفاصيل هذا التطور غير معلومة لنا ، بسبب انعدام أخبار المعاصرين." 10.ودراسة تطور اللغات لايقوم على الافتراضات إلاّ إن كان الحديث عن لغة نقوش مندرسة أو لغة مفقودة النصوص الكتابية ، وهذا محال مع وجود دواوين جند ودواوين اشعار، ومعجمات عربية ضخمة ضمّت عاميات شتّى ولغات عرب وأعراب، ومن عجيب دراسات المستشرقين صياغة بعض دراسات بلاغية وصفية في طبيعة الاصوات العربية ومعالجة نطقها وتنظيرها على أنها تطور في لغة الموالي المحكية ؛ فعل ذلك مع الصفحات الاولى من بيان الجاحظ ،قال " وهكذا نجد أن غيرالعرب يستبدلون بأصوات عربية معينة أخرى أسهل عليهم ، بحيث كان يدرك من ذلك التبديل ما إذا كان الناطق فارسياً أو نبطياً"11وعبارة الجاحظ في (ذكر الحروف التي تدخلها اللثغة أربعة القاف والسين واللام والراء. والتي على الشين فشيء لايصوره الخط" لآنه مخرج من المخارج والمخارج لاتُحصى ولا يوقف عليها ، وكذلك القول في حروف كثيرة من حروف لغات العجم وليس ذلك في شيء أكثر منه في لغة الخوز وفي سواحل البحر من أسياف فارس ناسٌ كثير، كلامهم يشبه الصفير ، فمن يستطيع أن يصوِّر كثيرا من حروف الزمزمة ، والحروف التي تظهر من فم المجوسيّ إذا ترك الإفصاح عن معانيه وأخذ في باب الكناية وهو على الطعام ؟ فاللثغة التي تعرض للسين تكون ثاء ، كقولهم لأبي يكسوم : أبي يكثوم ؛ وكما يقولون بُثرة وبثم الله، إذا أرادوا بُسرة وبسم الله ،..." 12وهذا حديث في الفصاحة والبيان لافي تراكيب الالفاظ ولافي أساليب العربية ، وهو بعد في فضل الفصاحة وعوارض تعتري اللسان ومعالجة بعض بلغاء العرب للثغة كما فعل واصل بن عطاء ؛ مافعله فك تجنيد لنص الجاحظ في نظرية عجيبة لاثبات اللغة الدارجة أو العامية المجاورة للعربية وقوة عنصرها وسعة وجوده ، يؤكد ما نذهب إليه وصفه جهود النحاة الاول وتاريخ ظهور كلمة(نحو) واجهد نفسه في نقد عمل أوائل النحاة الخليل وسيبويه مدعيا عدم تحديد المصطلح النحوي عندهما فضلا على بضع ملاحظات في عمله، قال:"

ولكن لاتفرقة عنده ولاعند البصريين المتأخرين بين الاسم والفعل المرفوعين ، والمنصوبين ، في تسمية الحركة، والفعل الحالي يسمى المضارع ، أي المشابه للاسم في تصرفه؛ ولاتوجد عنده إصطلاحات خاصة لأحوال الاسم، وتغيرات الفعل،بَلْهَ تصرف الاسم والفعل بوجه عام." 13.ومع هذه الملحوظات التي عرفها كثير من نحاة العرب وعلمائهم وباحثيهم قبله في طبيعة التسمية وحدود العامل والمعمول وعلله فلم يقدم لنا سببا وجيها لايرادها ضمن الروابط اللغوية في عهد الدولة العربية الأموية ولأنه أدرك أن لاوسيلة لتوثيق التطور في الروابط اللغوية لذلك العهد إلاّ ما دونه علماء ولغويي القرنين الثاني والثالث في نشاة النحو وفي رسم المصحف وشكله وأسباب نشوء النحو ، وليست بشيء في دراسة الروابط اللغوية لأن اللغة المكتوبة والمقروءة حتّى نهاية القرن الثالث الهجري عربية فصيحة ، وما دون من اساليب القدماء والمحدثين أثار جدلاً واسعاً بين أدباء ولغويي القرنين الثاني والثالث الهجريين ؛ بل فاته أن النحاة الأولين تحرّجوا الاستشهاد على أساليب العربية بشعر المولدين من أهل الصنعة والمشربين ثقافة يونانية كأبي تمام وبعض معاصريه على الرغم من أصله العربي المحض ، وهناك مدارس شعرية إبتدأت في العصر الجاهلي وامتد فنها وصيغها وأساليبها حتّى العصر العباسي مثل مدرسة أوس بن حجر سمّاها مدرسة زهير .. ومدرسة إبن أبي ربيعة 14ومالغة العبيد والجواري من الزنوج التي افترضها ولم يقدِّم لنا مثالا واحداعليها ، لو كان شعرا شعبيا أو مغنّى 15.ولهذا السبب اختلطت عباراته وتناثرت هنا وهناك في عمل واسع زمنيا وثقافيا ،فضلا على سعة العربية باساليبها ونحوها والخروج على القياس فيها؛ فما وجد غير العودة الى السياق التاريخي الذي نسجه لنفسه في دراسة اللغة ، ليجعل من أسرى الحروب جيلا " تألفت من هؤلاء العَتقى أو الموالي، بعد أجيال قليلة ، الطبقات الدنيا والوسطى من المجتمع الاسلامي ، وامتلكت العناصر الطامحة من هذه الطبقات زمام اللغة التي تنطقها الطبقة العربية العليا، على حين بقي السواد الأعظم عند إسلوب لغوي دارج ، ظهرت فيه، بوساطة ترك التصرف الإعرابي قبل كل شيء ، سمات من التطور إلى العربية المولدة." 16.ويُلحظ افتراضه نظريات ومواقف ومن ثم لغة دارجة في القرن الأول نشأت منها لهجات متأخرة في المدن الاسلامية ، وقارن ذلك تلميحا باللهجات الشائعة عند العرب أيّام نزول القرآن وبعده ولم يبين لنا إن كان ناطقوها يفهم بعضهم بعضا أم إحتاجوا العربية الفصيحة وسيلة تفاهم بينهم أم كان لكل مدينة ومجتمع لهجته الخاصّة ؛ ولادراكه تهافت نظرية حضور اللهجة الدارجة في التأليف الأدبي والشعري ومراسلات الدولة قال" استمرت ممارسة العربية للغات العالم المحيط بها بضعة قرون ، خرجت منها تدريجا بمحصولها الحالي . ففي باديء الأمر ، قدمت العربية لاقاليم دولة الخلافة مجرد خيوط واهية في شبكة تتألف خيوطها الأساسية من التعبيرات المتعارفة لدى السكان الأصليين . وقد كانت تلك الخيوط العربية موقوفة على قوة الجيوش العربية ، والامدادات اللاحقة بها؛ كما كانت تتناقص بوجه عام كلما ازداد البعد عن الوطن القديم. وقد هاجرت مع قبائل البدو، الذين فتحت لهم غزوات الفتح مراعي جديدة لم تكن سعتها وعظمتها في حسبان لهجاتهم ولحونهم حتّى حدود الدولة." 17.وهذه نظرية سياسية لتوثيق العربية لااستقراء للظواهر اللغوية أو التلاقح الفكراللغوي بين العرب وغيرهم من الأمم التي خالطوها في الفتح الاسلامي (الغزو) على حدّ تعبيره.

إن نظام البحث العلمي يتطلب النظر في الظاهرة اللغوية على أنها شائعة ومتداولة بين مجموعة كبيرة من الافراد،وليس بضع كلمات لبعض الموالي خراساني الاصل تكلموا بها فلا نفهمها مثلما

لم يفهمها الحجاج حينها فنعدها تعبيرات متعارفة كما أدّعى وتعبير خيوط واهية في شبكة موقوفة على قوة الجيوش العربية تعبيرات بلاغية غير مقبولة في استقراء تطور لغة وانتشارها في أقل من خمسين سنةعلى أراض شاسعة كانت ملك امبراطوريتين عظيمتين لم تستطع احداهما فرض لغتها على أكثر من بضعة عاملين في حاميات تحت مسمى امارات خاضعة لها ، وهذا يعني وجود خلايا قبائل عربية كبيرة في مناطق حزام جزيرة العرب لها لغاتها وإلا كيف فهم النعمان شعر النابغة أو شعر الاعشى ؛ إلاّ اذا سلّمنا أن العربية كانت تعلّم لابناء الملوك ولانعلم إن كانت تعلّم قراءة وكتابة أم تعلّم ألفاظا فحسب فشعر كل منهما فصيح فيه من ألفاظ عربية غير يسيرة وتراكيب لايعلم فحواها غير أبناء العربية. واستعمل لفظ الجيوش العربية منذ أواخر العصر الاموي ونسي أنها جيوش اسلامية ضمّت كثيرا من غير العرب ، وشاهد ذلك عبيد الله بن زياد (30-67هـ) والي العراق وأمثاله وأثرهم في مجتمع البصرة ولحنهم . ومعروف تضارب الروايات بشأن زياد بن أبيه وفصاحته وادراكه اللحن حين يُنطق أمامه 18. وحاول فك استقراء طبيعة العلاقات اللغوية للاجناس الانسانية في البصرة ادرك أنها أرض(متعددة الاعراق كوزموبوليتان)منذ خطها المسلمون فعاد ليعرّج على العلاقات اللغوية في الكوفة ليخرج لنا بقاعدة مفادها أنها محطة التقاء اللغات الآرامية والفارسية والعربية حتّى قبل الاسلام لقربها الحيرة أرض المسيحية الآرامية والثقافة الساسانية التي لم يحدد لها شكلا مقروءا أو مكتوبا أو مسموعا ؛ لاننا نعلم عطاء ملوك الحيرة للشعراءالمداحين، وأسماء بناتهم (هند، اسماء وغيرها) . ويبدو أن الرجل وهو يؤسس لنظرية لغوية سياسية اعتمد اخبار الفتح عند البلاذري وما قاله صاحب الخزانة فجمع أعداد جند كسرى المنهزم (الديلم)* ليؤكد نظرية اللسان الفارسي في البصرة والكوفة رأس مدرستي النحو العربي وساق خمس كلمات أثبتها الجاحظ دليل أثرهم في لغة الكوفة وهي كلمات مطبخية (خيار= قثاء، باذروج= الحوك البقلة الحمراء، ويدي= مجذوم) ونسي أن العرب (البدو المهاجرين) كما سماهم لم يعرفوا الزراعة إلاّ فيما ندرعند أهل المدينة (يثرب) وكلمات الزرع والزراعة لم تعرفها لغتهم وبيئة الصحراء الجافية وكلمات مثل (خربز = بطيخ) وألعاب مثل (إشترنج=شطرنج) ليست دليلا على وجود تيارلغة عربية مولدة ، إنما هذا تلاقح حضارات طبيعي نتج عن اختلاط السن الأمم عند دخولها الاسلام ، وهي ظاهرة عرفتها العربية قبل الاسلام على نحو اضعف وجاء كثير من الالفاظ في القرآن معرّبة ودخيلة مثل (الارائك، أكواب، نمارق، قرطاس...) 19.ويُؤخذ عليه أنّه جعل بضع كلمات دليل تداخل اللسان الفارسي بالعربي حتّى رأيناالعرب عنده" اتخذوا طريقة التعبير الفارسي هنا وهناك، حتّى في الالفاظ العربية الفصيحة ، فهذا مايتضح من المثال الرابع ممزوز، بدلا من ممصوص، حيث يُستعاض عن الصاد الصعبة النطق على اللسان الفارسي بالزاي مع قليل من الادغام في الميم" 20.قال د. السامرائي " قد يكون للفعل الواحد ولاسيما الثلاثي مصادر متعددة وذلك كالفعل لقي ـ مثلاـ فمن مصادره لقىً ولقاء ولُقيان ولُقي... والتعدد يعود الى سببين رئيسين هما: اختلاف لغات العرب: فمن المعلوم أن قبائل العرب قد تختلف في استعمال لفظة أو تعبير فقد تستعمل قبيلة مصدراً لفعل لاتستعمله قبيلة أخرى... اختلاف المعنى وهو سبب مهم في اختلاف المصادر" 21.واذا ما عددنا الكلمات التي على اللغة الجديدة والمتولدة من هذا الاختلاط نجدها إحدى عشرة فهل هي كافية لصياغة نظريته؟ وتجدرالاشارة الى أن اثنتين فقط من هذه الكلمات وجِد لها أمثلة في الشعر هي (الروذق ، البيدق) أوردها بالذال مرّة وبالدال أخرى22.

وتعود عناية المستشرقين بالعربية بوصفها أداة اجتياح ديني، استطاع بسط نفوذه على رقعة واسعة من أراضي العالم القديم ولم يستطع أي نوع من انواع الاجتياح العسكري إزالة أثرها تماما في رقعتين واسعتين من أثرى قارتين في العالم آسيا مهدها وإفريقية،الى حدّ ما زالت التآليف في نحوها وصرفها وادبها الى يومنا هذا تُكتب بها فيها؛ فضلا على المعجمات ، فنجده يقول في لغة إقليم مصر والتعبير له أن العربية ظلّت في (المعسكرات الفسطاط) ومناطق رعي السوام التي اختارتها قبائل العرب اليمنية الاصل فظلت اليونانية اللغة الرسمية حتّى استطاعت العربية في عام 87هـ دخول دوائر الادارة " ولم تستو على سوقها إلاّ في اوائل القرن الثاني . وقد ظل الجمهور الاعظم من السكان متمسكا بالقبطية، كما أن النسبة المئوية للاقباط في المدن كانت جدّ كبيرة ."23.ويلحظ غياب التحديد الرقمي للنسبة المئوية هنا واختلاط الزمن ، فضلا عن الاصطلاح العسكري إقليم مصر والمعسكرات ، وغاب المصدر والوثيقة التاريخية لسيادة اليونانية الذي نقل عنه. ويذكر ان استعمال اليونانية والقبطية إداريا في مصراستمرحتى عام 87هـ، عندما أصدروالي مصر عبد الله بن عبد الملك بن مروان أوامر بإحلال العربية محل هاتين اللغتين، وعزل رئيس الديوان القبطي أشناس وتكليف ابن يربوع الفزاري.*؛ لذا عاد ليقرر" حقّا لقد تمّ تعريب مصر (احتلال العرب لها) بصورة أسرع وأعمق من العراق : ففي القرن الثاني كانت قبائل عرب الشمال قد هاجرت إليها على وفق نظام مرسوم ، كما يبدو أن تكاثر الدخول في الاسلام قد ازداد بقوة في الوقت نفسه ، بعد أن كان لايتقدم في القرن الأول إلاّ في حدود معتدلة بحيث رجحت كفّة العربية في القرن الثالث، على حين تراجعت القبطية الى سهول الريف حتّى تلاشت تماما في القرن السادس." 24. وتجاهل رأي المقريزي الذي راى انتشار المسلمين بعد المئة الاولى الهجرية في قرى مصر وهو تاريخ انتصار العربية على القبطية واليونانية فيها* وعبارة المقريزي بوصفه مؤرخا دليل ثابت في حين عباراته متناقضة فلغة المنتصر فرضت نفسها والقبطية انحسرت بموت متعليمها وكتابها أو معنى عبارته دخولهم الاسلام الذي لايعني موتها بين ناطقيها؟ ولم تراجع متكلموها الى الارياف وما شكلّوا مقاومة بناء كنسي جديد ومصدر استنتاجاته غائب 25؛ وهذا يؤكد أن النظرية التي أسس لها سياسية تاريخية لالغوية ألسنية، يؤكد ما نذهب إليه توفيقه في جمع الروايات التعلقة بدخول عناصرأعجمية الاسلام وحق الافتراض الاستشراقي، على نصوص تاريخية عربية أولا "وثانيها النظام التدريسي العلمي في الغرب والذي أتاح في مطلع القرن التاسع عشر إمكانية التخصص في دراسة مختلف الثقافات والتراثات الشرقية؛ وثالثها الافتراضات الايديولوجية، والصور، والأخيلة الفانتازية عن منطقة من العالم اسمها الشرق مهمّة بصورة راهنة وملحّة بالمعنى السياسي.القاسم المشترك النسبي بين هذه الجوانب الثلاثة من الاستشراق هو الحد الفاصل بين الشرق والغرب وهو،كما جادلتُ، حقيقة طبيعية من صنع البشر أسميّها الجغرافيا المُتَخيَّلة، أكثر من كونه حقيقة طبيعية. لكن ذلك لايعني القول بأن الإنقسام بين الشرق والغرب ثابت لايتبدّل، كما لايعني القول أنه خيالي فقط."26.وبعض ما أورده فك من الفنتازيا البحثية في تطور اللغات ،ومن الادلجة الاستشراقية لطبيعة الانتشار الجغرافي للغة العربية وناطقيها دفعه الى دراسة أساليب العربية وألفاظها الى دوائر تبدو للوهلة الأولى حقائق تاريخية لغوية في تطور اللسان العربي؛ إذ جعل من الاجيال المتوالدة من دخول الاعاجم بيوت فصحاءالعرب دليل ولادة جيل جديد تكلّم العربية المولّدة حتى صار:"منذ زمن طويل غير مفهوم بطبيعة الحال أن يتعلم أولاد هذه الدوائر ." 27.وهو بطبيعة

الحال سبب قيام حركة تنقية اللغة العربية في أواخر القرن الأول السابع الميلادي ـ نسي تيار الأعراب الذين خرج يطلب لغتهم النحاة واللغويون ـ وكرر القول السائد أن العصر الأموي هو عصر حماية (المبادئ العربية القديمة) أي تقاليد فصاحة الخليفة والاصرار على اتقان أولاد الخلفاء والأمراء والقادة لها. وهذا التقليد تتابع عليه خلفاء العصر العباسي الأول. وساق روايات تأريخية وقصص تُروى في سير الشعراء وأخبارهم مع الخلفاء لاعلاقة لها بالتطور الدلالي ، أو باظهار سمات العربية المولّدة إلاّ أنه وظف تلك الروايات في خدمة نظريته القديمة التي ظنّها جديدة في اختفاء عصر الفصاحة من لسان أبناء العرب والمسلمين ، إلاّ أنه قدّم تواريخ محددة مثل لحن الوليد بن عبد الملك(86- 96هـ). وعهد عمر بن عبد العزيز(99-101هـ) الذي كان" دقيق الاحساس في شئون اللغة بوجه خاص؛ وكان لايطيق أن يسمع في محطيه خطأ لغويا أيّاً كان؛ وكان يصلح ما يعترضه من الأخطاء؛ وكان يحب الواضح السهل من العربية حتّى في الشعر."28.وهذا يعني أن محيطه كان ينطق العربية الفصيحة مما لايمنع وجود اللحن، فضلا على وفود الاعراب الى حاضرة الخليفة يكلمونه بلغتهم التي يتكلمها ويفهمها ؛ فنظرية العربية المولدة غير صائبة حتّى ذلك العهد.

إن التأويل أو التفسير الذي اتخذه فك منهاجا في قراءة نصوص الاخبار والروايات التأريخية عملية متأصلة في الدراسة الاستشراقية تقوم على أفكار مؤسساتية تخاطب جمهورا واسعا في الشرق والغرب لها أغراض وقضايا ذهنية تأخذ ابعادا كبيرة التأثير واسعة الطيف في جمهور االمتعلمين الذين يجهلون تاريخ الشرق العربي والاسلامي في الغرب ، ولجمهور المتعلمين والمثقفين في الشرق الذين تطالبهم مؤسساتهم العلمية والبحثية بايجاد حلقة وصل بين منهج الدراسة الغربية (الاستشراقية والغربية الخالصة) وبين قراءة تاريخ كُتب وجمع أغلبه لاهداف سياسية هو الآخر وتحت تأثير حكم الدولة الفلانية أو موافقة لذوق ومعارف ومريدي الخليفة فلان والوزيرعلّان، إلاّ فيما ندر بل كتبت مؤلفات أدبية لنصرة فرقة على أخرى ونصرة مذهب على آخر وعكس ذلك صحيح؛ ومثله الانتاج الفكري والأدبي الاستشراقي يقوم عى أفكار وقضايا" أثارتها المنهجية في البدء ثم تمَّ تأطيرهاعلى نحو حاد بفعل أسئلة من النوع الآتي: كيف يقوم إنتاج المعرفة بالخدمة الأفضل للأغراض الجماعية بوصفها نقيض الأغراض الفئوية ؟ كيف يمكن انتاج معرفة غير مهيمنة وغير عسفية في أجواء منخرطة بعمق في سياسة واعتبارات ومواقف واستراتيجيات السلطة؟ في هذه الحالات المنهجية والأخلاقية من إعادة النظر في الاستشراق سوف أشير على نحو واع تماما إلى مسائل مماثلة أثارتها تجارب النسوية أو دراسات المرأة . Feminism ، ودراسات السود والإثنية، والدراسات الاشتراكية أو المناهضة للامبريالية، وجميعها تستمد نقطة انطلاقها من حق الجماعات البشرية ـ التي لم تُمَثّل أو أسيء تمثيلها من قبل ـ في التعبير وعن تمثيل نفسها في ميادين جرى تحديدها سياسيا وفكريا بحيث تُقصي تلك الجماعات ، وتغتصب وظائفها الدالّة والممثّلة، وتطمس واقعها التاريخي.

وباختصار ، فإن إعادة النظر في الاستشراق من هذا المنظور الأعرض والتحريري لاينطوي على أقلّ من خلق موضوعات جديدة لنوع جديد من المعرفة." 29 .ومن غريب منهجه في عرض الروايات والأخبار ، أنه ترك شعوره الشخصي المنحاز الى شخصية الحجاج يرفض روايات لحنه في الآية 24من التوبة والآية11من العاديات وآية 22من السجدة بقوله" لقد حمل الكره خصومه السياسيين أن يقولوا عنه أنه ارتكب أخطاء حتى في القرآن ؛ ولكن هذا حصل في آية قرآها وهو

ساه؛"30 وهذا لايمنع أن يكون غيره ممن وردت في لحنه الروايات قد لحن سهوا، وفاته أن الحجاج كان يقرئ الصبية القرآن في مسجد الكوفة؛ ولحنه في كتاب الله أشنع وأبشع ولاعلاقة للخصومة السياسية بخبره إلاّ المنهج السياسي التاريخي لعمل فك.ونظرة المستشرق للروايات نظرة مجتمعية في طبيعة بنية الجتمع وزمن التأليف نظرة عامّة شاملة ؛إذ ساوى بين البداة وأهل الحضر في اتقان اللغة في عصر العربية المتولّدة من ألسنة النشء الجديد حتّى جعل عمر بن هبيرة والي العراق (101-105هـ) ورؤبة الرجّاز البدوي 145هـ في ميزان فصاحة واحد؛ مستعينا ببعض روايات تأريخية مشكوك فيها ،مثل إيراده أبيات منسوبة لرؤبة في مدح القاسم بن محمد بن القاسم:

" وكيف تراني أنتحي دفتري على قضيب الذاهبات الشبر
لاينظر النحويُّ فيها نظري وإن لوى لحيْيه بالتحـــقر

وهو دهيٌّ العلم والتعبر" 31.وعلى أيّة حال فان اعتماده بيتا واحدا للحكم على فصاحة أهل قرن غير مقبولة علميا لأن البيت عليه لا له، قال" وبيت ابن نوفل إنما يدل على أنه منذ بداءة القرن الثاني الهجري لم تعد سلامة التعبير من اللحن أمرا طبيعيا ؛ حتّى عند ذوي المناصب الرفيعة."32

أورد فك اسباب اتخاذ العربية مثالا أعلى وقدوة رفيعة في عهد الامويين :

1- المجتمع الحاكم عربي في أغلبه حريص على فرض هويته العربية في دوائر الدولة.

2- إن طبقة الموالي الساعية الى المناصب حاكت طبقة الحكام العرب المسلمين من أجل تحقيق طموحها ، فاحتضنت حركة تنقية اللغة العربية " بما في ذلك إعلاء شأن اللغة البدوية الخالصة."33.والعبارة الأخيرة تناقض أقواله في سرعة انتشار اللحن بين دوائر المجتمع الاسلامي وطبقات الحكام ، فضلا على قوة انتشار الموالي بين طبقات المسلمين سواء بالموالاة أو بالرق، وجلي أن النظرية ينقض بعضها بعضا ، فوجود حركة تنقية اللغة العربية لايتناسب وتيار اللغة الدارجة الجديدة من اختلاط الاقوام في انحاء الدولة الاسلامية ولاننسى أن النظرية افترضت تفشي انتشار الموالي في قصور الخلافة الاسلامية وبين بيوت الشعراء الفصحاء ، وفاته أن كثيرا من علماء النحو ومن تعاطى العمل النحوي من اصول غير عربية، ولذا نجد عنده عبارات" وقديما ما تملك الحسن البصري المتوفى 110هـ، وهو ابن لأحد أسارى الحرب من مدينة مَيسان ، أزمة العربية ، بحيث كان رجال ضليعون ، كأبي عمرو بن العلاء ورؤبة ، لايجدون غضاضة في أن يضعوه الى جانب الحجاج." 34ولم تفته الاشارة الى لحن البصري في قراءة القرآن مثل قراءته (الحَمْدِ لِلهِ) "بكسر الدال بدلا من ضمّها ، وبشهادة النحوي المصري : النحاس المتوفى 338هـ كانت صيغة الحمد له على هذا النحو خاصّة بلهجة تميم؛ وقد اجتهد الكوفيون في تأييد هذه القراءة وأختها (الحَمْدُ لِله) بضم لام لُلهِ، بسَوْق أمثلة أخرى لتناسب الحركات والاتباع ؛ وعلى النقيض من ذلك قراءة زيد بن علي المتوفى 122هـ، ورؤبة - بحجة أنها سقطت من الاستعمال تماما، وأنها مخالفة للقواعد ، ومصطدمة بالإعراب." 35. لاثبات نظريه ،وهي محاولة مستحيلة لتسخير القراءات دليلَ تصاعد اللغة العاميّة الوليدة، ويكفي تهاوي محاولته تعليل إحدى القراءات على أنها لغة تميم ، ولم يصب في التفاوت الزمني لصحة الروايات كوثيقة تأريخية أو تمثيلها للعصر الاموي ؛ وليثبت صواب نظريته استعان بلثغة الشاعر زياد الأعجم (100هـ) العلج الاعجم و" الأقوال التي رويت على لسانه تدل على أنه كان يستعيض

من العين بالهمز ، ومن الحاء بالهاء، ومن حروف الاطباق بحروف أخف منها مقاربة لها. وهذه الظواهر في نطق العربية من السِّمات الخاصة بالألسنة الفارسية ، مما يحملنا على الركون الى هذه الروايات الواردة في هذه النقطة على الأقل وإن كانت أهم هذه الروايات قد حكيت أيضا في زياد أخي حسّان بن أبي حسّان النبطي الذي اشتهر بأعمال السقي والري في العراق على عهد الوليد وهشام . ولكيلا يتأثر الجرس في أبيات زياد الأعجم بسوء تعبيره ، أهدى إليه المهلب غلاما يجيد الإلقاء ." 36.والنص كالشمس ينطق بعيب زياد الخَلقِي في النطق ، وإلاّ لم يهدي المهلب شاعرا غلاما ، وكيف ينظم أعجميا الشعر بسلاسة زياد. والتنظير التاريخي فتح لفك ميدان مقدمات جعلها فيما بعد مسلمات منهاجه في نظرية العربية المولدة وتيار العامية ؛ إذ اتخذ من نصوص الجاحظ في البيان والبلاغة منفذا لما قلناه فجعل ألقاب بعض الشعراء رمزا لصواب نظريته مثل(زياد الأعجم، أبي العطاء السندي، والأخير زنجي رياح بن سُنيح أو سُنيح بن رياح، أو صُبَيح بن رياح) وهذا شطط كثير لأنه اعتمد روايات الاصفهاني في أغانيه الذي روى الأخبار على أي وجه سمعه، وورد إليه ، وسرد الحكاية ثلاث أو أربع مرّات كيفما سمعها أو نُقِلت عن فلان وفلان، إذ كان هم الاصفهاني الأول سلسلة رواة الشعراء والشعر المغنّى ، مع طريقة مبتكرة في تراجم الشعراء وممدوحيهم أو أعدائهم ، حتى جعلها قصصا مروية لا تصلح وثائق تاريخية أو روايات شعرية إلاّ بحذر شديد ومراجعة ، لكن قدم الاصفهاني جعل له الحظوة لدى الباحثين شرقا وغربا ، بل عند أهل الاندلس ولقي كتابه هذه العناية الفائقة ؛ والحق أن فك حلل نصوص كثيرة من الاغاني والبيان ليصفّها في صالح نظريته (اللغة الدارجة الجديدة) 37، وبرّر فعله هذا بعبارات مثل " بل لقد ظهر كذلك في أواخر القرن الأوّل فتور الاحساس اللغوي القديم عند الشعراء من أصل عربي، حقّا لقد كان الطراز الرفيع من الشعر يجري على السنن المرسوم ، والنظام المتبع ، ليس فقط من حيث الموضوع واختيار المقام والمقال، بل كذلك في ظواهره من حيث القوالب والصيغ، ومادة الالفاظ، ومناهج الأساليب . بيد أنه على الرغم من ذلك ، كان في الأول يصدر عن طبع صادق ، ونبع أصيل، أما في ذلك العهد فقد انتشرت الصنعة والتقليد عند المولدين أيّما انتشار ."38وضرب ديوان الطرماح مثلا لذلك ؛ وفي عرف اللغة والتوثيق النقدي لايشكل شاعر واحد ظاهرة لغوية ، على الرغم من أن بعضهم شكّل ظاهرة نقدية أو تثوير لغوي في عصره والعصر الذي تلاه(المتنبي) فضلا عن معرفة أهل الصنعة من حذّاق الشعراء- زهير ومدرسته التي ضمت الحطيئة - قوانين العربية؛ وبعد فحديثه في ظواهر نقد اللغويين لاشعار الاسلاميين بعيدة كل البعد عن رصد تيارالعربية المولّدة ، واعترف بنفسه أن مثل "هذه التغييرات اللفظية المعتمدة عند شعراء آخرين أيضا ، بيد أنها تُعدُّ - بحق - عند النقدة الفنيين العرب من قبيل الخطأ."39وهذه ظواهر في التطور اللغوي اختص بها مثقفو الامم منذ أقدم العصور حتّى يومنا هذا ، فإن كان لصحفيي الطراز الأول الرفيع قصب السبق اليوم في الاشتقاق وإشاعة استعمال لفظ واماتة آخر فإنه دور الشعراء قديما ، ولم يلحظ فك أنّه ترك لذوقه الشخصي في الشعراء والروايات فسحة واسعة مثل قوله" .. وإذا كان الكميت لم يعارض هذه الحقيقة الثابتة ؛ بل لاحظ عليها موضّحا - مبينا للفرق بينه وبين ناقده - أنه يصف شيئا لم يره بعينه ، فإن محاولته الدفاع عن نفسه على هذا النحو تدلّ على أنه رفع التقليد لذاته الى مرتبة الحذق الفني . ومع هذا، فإنه لم يتقيد بمُثُله وأمثلته تقيد العبودية؛" 40 ولايصح أن يُعدَّ اسلوب الكميت - وهو فرد، وليس من طبقة الشعراء الاولى لعصره - تجديدا في أساليب العربية ولاسيّما أنه متهم بالسرقة من القرآن

وغيره؛ وقد شغل فك بوصف شعر الكميت وآراء النقدة فيه ، وانتمائه لمدرسة أميّة بن أبي الصلت معتمدا آراء الاصفهاني في أغانيه 41 وبعض ما نقله الأصمعي من استعمالات ذي الرِّمة اللغوية، وفاته أن اللغوي صاحب صناعة وفي أحايين كثيرة يلوي عنق اللغة ويضَعَ من فصاحة الشعراء؛ حتّى البداة منهم في مضمار استعراض معارفه اللغوية؛ وبنى على أقوال اللغويين في فصاحة الألفاظ آراءه فقال في لغة شعر ذي الرّمّة" حتّى عند آخر من يُحتج بشعره من الشعراء البدويين: ذي الرّمّة 117هـ توجد هنا وهناك صيغ مولدة . حقا لقد كانت علاقته بالشعر القديم، إذ كان بدويا ، تختلف اختلافا تامّا عن علاقته بالكميت ؛ كما صانته خبرته ودرايته العميقة باللغة والطبيعة العربية من الوقوع في أخطاء صريحة . بيد أنه ـ على الرغم من ذلك ـ قد ظهر أثر العصر الجديد في لغته أيضا فهو مثلا يستعمل .. لفظ : زوجة بدلا من اللفظ القديم زوج ؛ وهي صيغة وردت عند الفرزدق من قبل،"42 وهذه آراء في الاستعمال اللغوي أجازها بعضهم ورفضها الأصمعي . ولو جعل هذه الروايات دليل توليد وشيوع لغة دون أخرى لقلنا أنه رصد التطور الدلالي والاشتقاقي في العربية ؛ يؤكد هذا توثيقه استعمال لفظ إنسانة مؤنث إنسان (في القرن الخامس الهجري 450هـ في البصرة) في بيت شعر لزعيم من بدو المنتفق خدم كُنْدُرى الوزير السلجوقي . وخطأه المترجم مؤكدا أن المتنبي أول من استعمل (إنسانة في الشعر) 43. ولو اختصر فقال ان شروح اللغويين للدواوين رصدت التطور الاسلوبي والدلالي في لغة الأدب، ولكنه لم يكلف نفسه عناء الجرد لاستقصاء التصريفات الجديدة مجموعة والاساليب الجديدة غير المألوفة في لغة شعرالعصر الاموي ـ وهي مقتبسة من القرآن، وما بعده في هذه الشروح؛ بل نقل القول أن شعر الغزل الحجازي أوائل العصر الأموي مثالا للسهولة والرقة والظرف في قالب بدوي حواري شديد الأسر والقوّة (شعر ابن ابي ربيعة مثالا).ولم يفرّق بين شعر عمر الحضري وأشعار العذريين البداة ، وقد أولع أشد الولع بحقيقة بعض روايات العذريين مثل خبر ابن الكلبي في حقيقة المجنون؛ وكانت مصادرآرائه الاغاني للأصفهاني والموشّح للمرزباني وطبقات ابن سلاّم وكلّها كتب رواية شعرية في تراجم الشعراء وطبقاتهم ؛ ترد فيها الاشارة الى لغة في بيت أو إعتراض على لفظ ضمن رواية شعر الشاعروالحكم عليه أو ترجمته ، والمساجلات بين الشعراء والنحاة ويبدو أن هذه المساجلات اللغوية والنحوية بين أهل الصنعة دفعته لتأسيس نظرية العناية باللغة قال:" وقد أخذت مثل هذه الاعتراضات تفقد ، في أثناء ذلك باطراد ، طابع النظرية الاختيارية ، والرأي العارض ، كلما تقدمت العناية باللغة ، صارت طريقة خاصة للنظر في القواعد"44 وضرب مثالا ـ لنظرية (الطريقة الخاصة) على حدِّ تعبيره ـ القارئ اللغوي أبي عمرو بن العلاء ،وجلي أن القراءات لاتعني مطلقا تطورا في أساليب العربية أو تولّد عربية جديدة بفعل التطور الزمني .

تقييم آرائه في فصليه الأول والثاني:

وهكذا نجده لم يعرض عربية مولّدة ؛ بالمعنى الذي قدّم له في آراء اللغويين والنقدة ، وفي كتب الفصاحة والبيان أو نقد الشعر؛ إنما عرض جهود الأولين لإرساء القاعدة النحوية وحصر الفاظ العربية، وإرساء مقاييس فصاحة اللفظة.

على وفق المنهج التاريخي الاستقرائي الذي اختاره لدراسة العربية وتطورها محض الفصل الثاني من تقسيمه (لعربية الدولة ، ولغة الشعب في أوائل العصر العباسي) وهاجس التحديد الزمني يرافقه فجعل مدة حياة اللغة في تقسيمه 132هـ/700م -170هـ/786م وتحديده غير دقيق لأنه ناقش آراء ابي عمرو بن العلاء 154هـ والاصمعي 205هـ وكلهم من علماء العصر العباسي

الاول فضلاعلى أساليب العربية وحدودها التي اقتبسها من كتاب سيبويه ، وقد دونوا وكتبوا لغة عصرهم (اوائل العصر العباسي كما سماه)؛ ومع ذلك قرر لنا بضع حقائق منها:

1- العربية لم تهو مع سقوط الدولة العربية (يعني الدولة العربية الاموية) وخصّ بذلك بيئتي الجزيرة والشام بوصفهما مركز السلطة التي وطئها التغيير السياسي.

2- إن لغة القرآن تغلغلت في شعور كل مسلم فلم يفلّ التغيير السياسي من استحكام ثباتها على ألسن العرب.45 وهذا رأي سياسي لأن الدولة العربية حتّى 132هـ ضمت مسلمين غيرعرب ، ونسي أنه ضرب لنا أمثلة عليهم من شعراء وجوار وقادة حرب ، فضلا على وصفه خلفاء وأمراء بالهجنة في أساليبهم ولغتهم البعيدة عن فصاحة البدو ؛ وتناسى قانون تطور اللغات بالاختلاط الاجتماعي والخروج من عزلة لغة الصحراء الى مجاراة لغة الدواوين والجند والاستملاك.

3- إن الفرس ـ على حد تعبيره ـ الذين باشروا الحكم إذ ذاك ما استطاعوا رفع إحدى اللهجات الايرانية لتكون لغة الدولة،" بل حتّى في فارس، كان يجب أن يمضي قرن بعدُ لتحتفل اللغة الحديثة للأدب الفارسي ببعث حياتها." 46 وهذا يؤكد قوّة العربية في اللغات المجاورة التي استعارت حدود نحوها عروضها(الفارسية)؛ ويؤكد أنها كانت لغة ديوان الحاكم انزوت بانحسار ملكه وعادت بعد قرنين ونيّف باسناد التسامح الاسلامي في تعليم المسلمين أبناءهم لغاتهم.

4- عملت الاسرة المالكة على ابراز الطابع الديني لسلطانها، باعلانها وراثة السلطان الالهي الذي أسسه محمد صلّى الله عليه وآله.47.على حدّ تعبيره.

5- حاكت طبقات المجتمع الاسلامي الممازة الوسطى في المجتمع الاسلامي الطبقة الحاكمة في الرقي الاجتماعي من الوجهة اللغوية وعلى أمد طويل ، ولاسيّما بعد سقوط الامويين الذي اتاح لها المساواة الكاملة للعنصر العربي. وماتقدم وصف للحياة الاجتماعية للطبقة الحاكمة وتوقيرها لعنصرها العربي ، على وفق العرف القبلي لاصول حكامها عرب الجذور لاعلى وفق المنظور الاسلامي ؛ وبعيدا عن فهم طبيعة اللغة العربية التي ارتبطت بعد نزول القرآن الكريم بادراك المعارف الشرعية والفقهية الذي يتطلب اجادة العربية باساليب تصريفها وايرادها المعنى على أكثر من وجه بأكثر من قصد، مع النظر الى " ان الإعراب في اللغة العربية لم يكن مظهرا من مظاهر السليقة للعرب جميعا بحيث يؤديه الفرد منهم غير شاعر بخصائصه ولا منبه لقواعده، ولكنه كان مظهرسليقة للقلّة المختارة من خاصة العرب .

أولئك الذين أجادوا هذه اللغة ، واتيحت لهم فرصة اتقانها. ومعنى السليقة هو ان تتكلم لغة من اللغات ، بغير شعور بما لها من خصائص.والدليل على ان اللغة العربية المشتركة ليست لغة سليقة العرب ، هو وقوع اللحن من العرب قبيل الاسلام وبعده، وفي تلك العصور التي تُسمّى بعصور الاحتجاج."48.فليس لمستشرق لم يتهيأ له أن يتقن العربية المشتركة أن يميز سليقة لغة العرب الفصحاء؛ بل هذا من عبث القول، قال"؛ فقد ثبت لدينا بصورة أكيدة أن سيبويه ساق جميع شواهده من دون تسمية الشعراء ، وذلك الرأي يجد تأييدا له فيما أضيف الى الجملة السابقة وهو : ويُقال وضعه النحويون ، فصريح أن هذه الزيادة لايمكن أن تكون من قول المؤلف. وأخيرا تريد احدى الروايات أن تعرف أن سيبويه عدَّ شعر بشار حجة خوفا من سلاطة لسانه ، ولكن الكتاب نفسه يدحض هذه الرواية." 49وهذه روايات متضاربة وغير موثوق بها من وجهة نظره الاستشراقية ؛ فكيف اقتبسها دليل وجود لغة جديدة نامية الى جوار العربية الفصيحة ، وجعل بعضها في فصحاء العرب على عهد التدوين من الموثوق بعربيتهم محكمين في مسائل اللغة" وقد

كان أبلغ آيات التقريظ التي توسم بها لغة أحد المثقفين، أنه كان ينطق كما ينطق البدوي، .. بحيث يستطيع السامع أن يفهم غرضه من دون لبس، لم تكن بعد ـ في القرن الثاني ـ أمرا طبيعيا على النقيض من التعبير الرفيع المكتسب بالدربة والتلقي؛ بل كانت تعد تهاوناً وإهمالا." 50وأمثلته على فصاحة السليقة (أبي سعيد المعلم ت 169هـ، أبي زيد الانصاري ت 215هـ اللغوي،والراويين البصريين خالد بن الحارث 186هـ وبشر بن المفضل ت186هـ وجرير بن حزم 170هـ كان ينطق عربية افصح من عربية معد) ولانعلم باحثا ينقل روايات وأخبار من دون تحليل علمي وتمحيص ؛ فلم يحسب للتطور اللغوي حسابه ولا لأثر البيئة في لغة النحاة وغيرهم لذا عاد ليقرر بُعد السلطة الحاكمة ـ التي قرّبت هؤلاء النحاة واللغويين لتربية أبنائها ـ عن حياة البدو وفصاحتهم وخشونتهم حتّى انقطعت الصلة النفسية بينهم وبين طبيعة وحياة البدو،" ولو استخدموا العربية ـ أن ينطقوا كما كان البدو ينطقون؛ بل صبُّوا أفكارا حديثة في قوالب اللغة القديمة وملأوها على هذا النحو بمادة جديدة." 51 ومثاله على ذلك ابن المقفع وبشار بن برد ، فهل كانا فصيحين سليقة أم نحاة؟ لم يجب إلاّ بعبارة " أخذ ابن المقفع الفصاحة في البصرة عن أبي الجاموس، بدوي كان في خدمة والي البصرة فيما بعد 133- 137هـ سليمان أحد أعمام الخليفة . ولقد استحوذ ابن المقفع على لوذعية واستاذية في تعاطي العربية ، بحيث استطاع أن يترجم كتبا عدّة في الأدب البهلوي ترجمة مثالية... قرّبت للمثقفين في جميع الاقطار الاسلامية أشخاص أساطير البطولة الايرانية وتاريخ الساسانيين، كما جعلتهم على بصيرة بروح فارس وطبيعة حياتها قبل الاسلام.52 وهنا نجده نقل بضعة نصوص عن بيان الجاحظ وبنى عليها آراء فردية جعلها ظاهرة وتيارا جديدا في التأليف اللغوي وأساليب العربية فضلا على آراء الجاحظ في شعر بشار التي جعلها تحت عدسة مكبرة، ونسي أن مجاورة البداة لاهل الحضر تُسقط عنهم الاحتجاج ؛ مثلما فعل أبو جاموس وبشار خالط الأعاجم والبداة وأدرك زمن جرير 95- 167هـ وتغنى بارجوزة في مدح مسلم بن قتيبةوالي البصرة 149هـ في استعراض لتمكنه من عمود الشعر؛ زد على ذلك أن ابن المقفع وبشار لم يشكلا ظاهرة في الشعر والنثر العربيين إلاّ في حدود المئة الثانية من العصر العباسي وسنوات عمرهما القصير ونهايتهما المأساوية،وأن شعر ابي نواس وأبي العتاهية هو الذي مثل شفافية جديدة في التثوير اللغوي الشعري واستعمال الاوزان الخفيفة ، وفي التأليف الأدبي لانذهب بعيدا بل ننقل مانقله فك عن الجاحظ" كان يدرس كل كاتب ناشيء كتبه . ومنذ ذلك العهد، سمق مجد ابن المقفع غير مزعزع،" 53 وهذا يعني أن كتب ابن المقفع تعليمية تأديبية للناشئة ، ورأي الجاحظ نقدي في توثيق طبيعة كتبة عصره؛ ولكننا نجد فك يطلع من هذه النصوص برأي ، أن الطابع الوحشي للعربية القديمة تراجع وظهر اسلوب منوّق مهذب، يسير على الافهام .هذه الأحكام جزء لايتجزأ من طبيعة التطور اللغوي للالفاظ والدلالات ولاسيّما أن رقعة العربية الجغرافية التاريخية اتسعت واختلاطها باللغات ازداد بفعل الفتوحات ، وتداخل الاجناس غير العربية حديثة الاسلام ـ فكيف كان حديث الاسلام لايُحسن التكلم بعربية فصيحة الى حد قول الشعر والترجمة باللسان العربي، كما هو حال ابن المقفع وبشار ـ فضلا على اطلاقه أقوالا من واقع العربية قبل الاسلام وبعده ، مثل" ؛ وكان بشار يستعمل المزدوج والمخمّس في الهزل ، وفي تحقير الشعر القديم؛ فهو يقحم مثلا في أحد أبياته ـ لتحقير نبطي قلّد اسلوبه في النطق على ما يظهر ـ الكلمات الآتية:ـ لادَهْل من حَمْلا

أي لاخوف من الجمل."54 والحق أن " اللهجة النبطية: عُثر عليها في بلاد النبط متمثلة في آثار كثيرة مدونة باللغة الآرامية في نقوش على القبور . والنبط ينتمون الى أصول عربية ، ولكنهم، شأنهم في ذلك شأن أهل تدمر، كانوا يستخدمون الآرامية لغة كتابة لسيادة هذه اللغة وشيوعها."55 وهي من الآرامية الغربية فلم يسخر بشار من عربية قديمة انما من لهجة من لهجات لغة جزرية.

وقد أدرك فك ان الحديث في هذه المساجلات تكلفا فعاد لتيار نظريته" وذلك الاطراداالسطحي في موافقة القواعد، لم يكن ليستطيع أن يخدعنا عن أن القالب الداخلي، والأسلوب الحقيقي للغة الدولة الجديدة كان يحمل سمات مولدة ." 56 ولم يسعفنا بنص لهذه العربية المولدة ، في حين نقل أخبارا نادرة في معرض ذكرروايات علمائنا في الفصاحة ، مثل وجود كتاب في أقوال الخليفة المنصور مشهور بين النُّساخ أيام الجاحظ 57 ونقل أخبارا في لحن الخليفة المنصور عند تلاوة القرآن . ووضع ثلاثة اسباب ـ للخلاف النحوي واللغوي والتقعيد المقيت في التأليف النحوي: ا- النحو العربي لم يسلم من خطر الاستبداد بالحياة الواقعية وقسرها في وضع قواعده.

ب ـ إختلاف علماء اللغة دائما في آرائهم بالاستعمال اللغوي الصائب.

ج ـ الخلاف بين الكوفيين والبصريين مع انحياز واضح لآراء البصرة في الأخذ عن البدو الاقحاح لا (انصاف المقيمين من القبائل في سواد الكوفة) مقتبسا آراء أبي محمد اليزيدي 138-202هـ .58 وهذا العمل مع ما نقله من أخبار في لحن نحاة العرب وبعض اللغويين من سفسطة التأليف في التطور اللغوي لاسيّما وأن مدرسة الاستشراق التي سبقته أرست قواعد علمية في النظر اللغوي والنقد الأدبي ولكن فك على الرغم من اختياره نصوصا شديدة الوضوح عند الباحثين العرب في معانيها واصطاد منها ما سوّغ به نظريته إلاّ أنه تنقل في أحيان أخرى بين الاخبار والنصوص خارج الأطر الزمنية التي حدّدها لمجالات بحثه والتقسيم الشديد لتطور نظريته (تيار العربية المولدة) حتّى ظن نصا مثل" واقرب من هذا الى الصحة ان لحن شبيب ينحصر في انه كان يضع التعبير أحيانا في غير موضعه؛ إذ لايمكننا ان نخفي تشككنا في أن الغرض من ذلك هو وسم الخطيب المشهور بميسم التلمذة في مدرسة البصرة." 59 ويبدو انه نقل نظرية فصاحة الجنس العربي عن علمائنا العرب القدماء مثل "هذا ما يُشك فيه لأنه كان عربيا وأحد خطباء قبيلته المفوّهين"60 وغيرها مثل "إن العربية في المدينة لم تحظ بعناية خاصّة، وأن الدوائر المثقفة لم تتمسك بتعاليم القواعد ومبادئها."61 ثم انتقل لفشوّ اللحن بين علماء المدينة ومحدثيها وفقهائها، وكان ذكره لمالك بن أنس وأستاذه ربيعة بن أبي عبد الرحمن إثبات لما نقله من دخول اللحن بيوتات العرب الفصحاء مثل جرير وغيره من الشعراء ، فهنا أيضا يذكر أن مالكا إبن الصحابي أنس حتّى أنه حاول تخريج بعض اللحن مجاراة لعلمائنا القدماء 62. وتوكيدا لنظريته التاريخانية المنهج في اعتماد عامل الوقت لتفتيت قوّة السلطة اللغوية والدينية للقرآن بالاختلاط ومجاورة اهل الحضر .لكننا نعلم " انها ككل لغة مشتركة تحل بمستوى أرقى من لهجات الخطاب، ولذلك فهي فوق مستوى العامّة، لم يتقنها إلاّ الخاصّة من العرب وهي وإن كانت مفهومة لعامّة العرب يسمعون إليها في شوق وإعجاب، غير أنها لم تكن في متناول جمهور الناس أو عامتهم. ولذلك كانوا يرون اجادتها مما يرقى بالمرء الى المركز المرموق بين أهله وعشيرته..انها لم تكن ذات طابع محلي، فلا تنتمي في ظواهرها وعناصرها الى قوم بأعينهم أو الى بيئة معينة، ... ان اللغة العربية المشتركة هي ليست لغة قريش وحدها ، أو تميم، أو غيرها من قبائل العرب، بل هي

مزيج من كل هذا، تكونت له شخصيته وكيانه، وأصبح مستقلا عن اللهجات، وان التمس هذا المزيج في نشأته، قسما من صفات هذه اللهجات بعد هضمه." 63 ومالنا نذهب بعيدا وقد كان المسلمون والصحابة يسألون عن معنى كلمات بعينها في آي الذكر الحكيم ـ سُئل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وسُئل عبد الله بن عباس وكعب الاحبار وغيرهم ـ ولذا نجد نصوصا غير معللة عند فك مثل قوله" هذا التساهل الذي ظهر عند مالك ونافع تجاه القواعد، لم يكن من النادر ظهوره أيضا خارج المدينة في صفوف المحافظين. ففي كل مكان ، ولاسيّما بين المحدثين، وجد رجال كان الاشتغال بالقواعد في نظرهم عبثا، إن لم يكن مضيعة للوقت جد مفسدة. وقد كان معوّلهم في الاشتغال بالحديث على النص؛ أمّا الصيغة والقالب فقد كانا في المحل الثاني." 64 ولا ادري كيف فات عالم مثله معنى التخصص الذي فشا في دراسات العصر العباسي ومدارس التفسير والحديث والفقه فالاعتزال ولكل منها رايها في العلوم ؛ فضلا على تعصب كل قوم لمهنتهم ، والخلاف بين النحاة في صحّة الاستشهاد بالحديث على وفق حقيقة روايته بالمعنى أو النص" واما الحديث فيرفضون الأخذ به في الاستشهاد على مسائل النحو، محتجين بأنه قد سمحت الرواية فيه، بمعناه لابلفظه، كما أن بعض رواته كانوا من المولدين.. ولعل السبب الحقيقي في بعد النحويين الاوائل، عن الاستشهاد بالحديث، إيثارهم الابتعاد عن موطن تزل فيه الاقدام، بعد شيوع الوضع في الحديث، في العصور الإسلامية الاولى، وكثرة اتهام بعض الناس لبعض، بهذا الوضع ." 65 ولذا فان عمل فك افتقر كما اسلفنا للبحث العلمي الدقيق في عمل اللغويين والنحاة على لغة القرآن ولغة الشعر، ثمّ لغة العامّة في المعاجم وغيرها من لحن العوام في مؤلفاتهم؛ ولكننا نجده يدّور الاقوال حتى يسخّرعلى منهج الاستشراق بعض الاخبار في خدمة نظريته (استقرار عاميّة جديدة وانحسار العربية في مجالس العلم ممايدل على دقة اختيار النصوص ، وبحث هامشي في قضايا الرواية لأن بعض الاخبار التي نقلها إنما أثبتها علماء العرب في دقة الرواية ووضع أسس الرواية والأخذ عن عالم ثقة وآخر غير موثوق*وفاته أن كتب الحديث المتأخرة انما ناقشت معنى الحديث قبل لفظه وفصاحته ، بسبب طول الزمن الذي استغرقه نقله وتدوينه فضلا على نقل بعض المحدّثين الحديث بالمعنى باساليبهم لا بلفظ الرسول صلّى الله عليه وآله وسلم) وهي مسائل أخذت حقّها من البحث لدي لغويي ونحاة العرب في أخذ اللغة " ومن العجيب ان هؤلاء البدو، لم يكونوا في ثقافة هؤلاء العلماء، الذين يأخذون اللغة عنهم، ولكن هؤلاء كانوا يعتقدون أن اللغة تجري في دمائهم، ويجهلون أن اللغة أمر مكتسب، يمكن أن يتقنهاغير أهلها، إذا مارسوها طويلا منذ المولد."66 ومن شروط الفصاحة مقدار توغل القبيلة في البداوة يُحكِّم فصاحتها.والحق ان فك على الرغم من تكراره الممل لآراء اللغويين والنحاة لكننا نجد لديه دقة ملاحظة في رصد وتصنيف المُستَشهدِ بأقوالهم لديه مثل" فان صدق الناقد العظيم: ابن عدي كان ثابتا لايتزعزع عند معاصريه، على الرغم من لحنه ، كذلك بعض الاشارات المذكورة ـ عرضا ـ في مصادرنا تنم على أن اللغة السليمة من الخطأ في دوائر المحدثين لم تكن بحال أمرأ مفهوما بالضرورة. فقد ذكر مثلا أن حفص بن عمر الحوضي ت 225هـ من رجال البخاري كان اعرابيا فصيحا، وغلام خليل الوضّاع المشهور ت 275هـ كان يتحرى الاعراب" 67 حتى الصفحة الثمانين يبتديء القاريء بتلمس عمله على الفاظ اللغة والاستقصاء النحوي واللغوي لاقيسة استعمال الالفاظ والشذوذ النحوي مثل" على ان اللحن لم ينشأ على ألسنة غير المثقفين فحسب، بل كذلك أيضا أولئك الذين كانوا يجتهدون أن ينطقوا نطقا

صحيحا، دون أن يتمكنوا من النحو في واقع الامر، لم يكن من النادر أن يصطدموا بقواعد النحو في صيغهم التي يبالغون في تصحيحها وتنقيحها، بناء على أقيسة خاطئة، ولما كانت صيغ المقصور والممدود قد اختلطت في اللغة الدارجة فقد اجتهد النحاة في استيعاب القوائم حسب الامكان ، لمجموعتي النوعين جميعا؛ كما يوجد ثبت من المراجع في هذا الموضوع." 68 وهذه أمثلة في لغات مسموعة عن العرب لاسيّما استعمال (قفاء) في (قفا) وكسر عين مضارع الثلاثي مثل يشِج بدلا من ضمها واستعمال أفعل التفضيل،وكتب المعاجم وفقه اللغة مملوءة بهذه الاحوال في حين عدهما لحنا وعاد ليذكر انها " وجدت بعد ذلك أيضا اعترافا وتصويبا" 69 فكيف سوّغ ايراد الشذوذ اللغوي والاستعمال النادر وغير القياسي في موضع إثبات العاميّة الجديدة * ويبدو أنه اقتطع هذه الشواهد والأغاليط من شرحها أو تفسيرها ؛ فضلا على شطط بعض اللغويين في التفسير ، بل فهم بعض الرواة للشعر . ومن عجيب الاداة العلمية عدّه هذه الروايات مثالا لاخبار نادرة " عن اللغة الدارجة بين المثقفين في العصر العباسي الأول. على النقيض من ذلك لانكاد نعلم شيئا عن لغة الطبقات الوسطى والدنيا في المدن والأقاليم .بيد أننا لانكاد نخطيء شاكلة الصواب إذا افترضنا أن اللهجات الوطنية القديمة كانت سائدة في الوديان والسهول في كل مكان :"70 وهي (اللاتينية في الاندلس، والبربرية في شمال أفريقية، والقبطية في مصر، واللهجات الآرامية في سورية ومابين النهرين). ولانعرف تناقضا شديدا في التوثيق العلمي لتاريخ استقرار اللغات واندثارها كالذي تقدم ؛ فكيف نَظمَ من نَظمَ الشعر في الاندلس وألف في اللغة والفقه والتفسير والتاريخ ، إذا كانت لغته اللاتينية ؟ ومثل هذا يُقال عن مصر وسورية ومابين النهرين التي لانعلم حدودها من وجهة نظره وقد بنى كتابه على مؤلفات لغويي العراق ونحاتهم وفقهائهم وقرّائهم؛ فضلا عن اعتماده افتراضاته في بناء نظرية لغوية ؛ وهذا لايجوز في البحث العلمي اللغوي لاسيما وقد اختار الوثائق المكتوبة (المؤلفات اللغوية والنحوية والفقهية العربية الاسلامية و التاريخية والجغرافية) في توثيق مادة كتابه وصياغة نظريته؛ ثم عاد لنقضها بالافتراضات التي لم يسق عليها نصا أو مؤلفا أو شعرا أو نثرا.

ـ لم يُوَفق فك في إعمال الهاجس التاريخي في نظريته لأنه أرخ (لعصر عربية الدولة ، ولغة الشعب أوائل العصر العباسي) ثم ((اللغة العربية في عصر هارون) وقد تداخلت مؤلفات العصرين وعلماؤها عنده إذ سبق ، ان أورد أمثلة مما جمع الجاحظ والاصمعي وابن قتيبة ، ثمّ ابن جنّي ومن شعر المتنبي ولغته وعاد الى عصرهارون الرشيد ليصف أوضاع اللغة العربية فيه وهاجسه التاريخي لم يفلح في دفع التكرار في كتابه فعصرهارون (786 - 809م) 170 - 193هـ الذي شهد نهضة علوم العربية واتخاذ لغة البداوة مثالا71 لم يخلُ من لحن اللغويين وضرب لذلك مثلا الفرّاء في عصر هارون ، وليس لحنه بمُستغرب لأن المؤلف لم يدرك أن النحاة حددوا نهاية عصر الفصاحة بابن هرمة المتوفى 150هـ فمن المألوف وجود لحن في عصر هارون وبعده؛ وعلى لسان الخليفة نفسه وفي مجلسه وليس جديدا في شيء اعتذار الفرّاء أمام الرشيد " بان اللحن عند سكان المدن لازم لهم كالاعراب عند أهل البادية." 72فضلا عن ولع المؤلف باقتباس أخبار اللغويين في قصر هارون، وهي نوادر إن دلت على شيء فهو حرص بيت الخلافة على هالة النسب العربي الشريف وفصاحته، وإلاّ ما كان ليقبل رواية الاصمعي لاساليب البداة المهجورة الغريبة ومحاورة أبي يوسف (قاضي القضاة) له في حضرته؛ وهي اخبار متضاربة تظهر الخليفة بليغا من أهل البيان مرّة، ومن اهل المدن اللحانين أخرى، ومع ذلك استطاع فك

بطبيعة الفكر الاستشراقي الاجنبي على لغة الفكر اللغوي العربي ان يجيّرخبر الكسائي مثلا في تفريقه بين " أنت طالق ، طالق، طالق، وبين أنت طالق وطالق وطالق ، أو ما شاكل ذلك؛ فمثل هذا ليس مأخوذا من اللغة الواقعية الحيّة ـ إنما هو تنطع اللغويين والنحاة في حضرة الخلفاء ومجالس الأمراء ـ وأحيانا كانت مثل هذه اللوذعية في علوم اللغة لاتصوب خطأ الرواية، وإنما تصوّب القائل نفسه ، بمعنى أنها تقول على لسانه مالم يقله." 73 وهذا من نزاع اهل المدرستين النحويتين الذي ادركه فك إدراك الرجل الاعجمي للغة العرب، فوجدناه يقرر: أن عصر هارون عصر نزاع في الاستعمال اللغوي الصائب وتنازع في المرجع الفصل في هذا النزاع (أيُّ المدرستين يجب اتباعها) فجعل همه إيراد اخبار العلماء وشيئا من أغاليطهم ؛ لاثبات نظريته سريان الدم في عربيّة عاميّة جديدة أزاحت عربية البداة ولغة الشعراء عن الاستعمال اليومي؛ ولو كان الأمر على السعة والتيار الجارف الذي أزاح لغة البداة ـ ولاأدري إن كان متحرزا بهذا الوصف عن لغة القرآن ، لكن قوله ولغة الشعراء يجعلنا نتيقن قصده لغة القرآن ـ لما وجدنا العربية الفصيحة سلعة رائجة في مئات المؤلفات في عصر هارون وحده ، وبعده وقبله وبطلب الخلفاء أنفسهم ووزرائهم الذين ألمّ بعضهم على أعجمية أصوله بشوارد لغة البداة ونوادرها ؛ وهو أمر عصي على كثير من الشعراء الأعلام في عصر هارون وغيره؛ فضلا عن انحياز فك نفسه الى مدرسة البصرة ورواية الاصمعي من غير اشارة صريحة (لأنها الاشهر بين روايات اللغويين ومعتمدة في توثيق اشعار الجاهليين والاسلاميين لديهم) ، ولاجله غلّط روايات واخبار نحاة الكوفة ولغوييها، وهو نقل لااستقصاء وتحليل لاساليب العربية والفاظها وجلّي أن عمل لغويي العرب ونحاتهم في خدمة لغة كتاب الله ، وطبيعة الجدل المنطقي والعقلي والحجاج الذي درجوا على استعماله في مؤلفاتهم وفي تضعيف رواية، أو حجة، كفيل باثارة اعجاب وغيرة أي لغوي ونحوي في العالم ؛ ولذا وجدناه شكك في نسبة (لحن العوام للكسائي) ، وقد أثبت د. رمضان عبد التواب نسبته للكسائي في تحقيقه له، وما أورده الكسائي في لحن العوام لايخرج في أغلبه عن غلط في ضبط نطق لفظ أو تحريف استعماله في معناه الموضوع له أو المصطلح على استعماله فيه.

ومن الغريب أنه أصرّ على اتخاذ لغة الشعراء وضروراتهم الشعرية مثال اللغة الدارجة على الرغم من فصاحة كثير منهم وتمكنه من أداته (اللغة) ، وعدّ ضرورات الشعر من قبيل استعمال الصيغ الدارجة (العاميّة الجديدة) ونسي أو تناسى أن الشواهد الشعرية المذكورة من الشوارد وشوّاذ الاستعمال ، ويجوز للشاعر ما لايجوز لغيره ؛ وهو على معرفة بذلك لكن شغفه بالقياس النحوي عند البصريين دفعه الى استقصاء بعض الشواهد الشعرية في الاستعمال الشاذ مثل" .. وأكثر من ذلك لفتا للانظار ترك الإعراب ، واستعمال صيغ دارجة في مثل: محدِّثه بدلا من محدِّثةٍ ؛ ويأتك ، على الوقف بسكون الكاف ، بدلا من فتحها في الخطاب . وأخيرا من المستغرب البيت:

كان صغرى وكبرى من فقاقعها حصباء در على أرض من الذهب

لأنه كما في قواعد النحو البدائية ، لايجوز تعريف فُعلى مؤنث أفعل التفضيل إلاّ في حال ما إذا صار اسما مثل : دنيا ، أو أخذ معنى خاصا ، مثل أخرى." 74 وساق بضعة شواهد في لحن الشعراء من الجيل الثاني على حدِّ تعبيره (السيد الحميري 105- 173هـ) * ومسلم بن الوليد ت 208هـ وابن سيابّة 213هـ . وهي في أغلبها من خلافات الشعراء والمنافسة بينهم كما حدث بين

اللغويين من بعدهم وبين النحاة ، إذ عمد بعض اللغويين لمصاحبة بعض الشعراء طمعا في الشهرة اللغوية ، وتخليد اسمه لصقا بمصاحبة الشاعر.

التاريخ منهج فك لم يشرح ظواهر اللغة ولهجاتها:

في منهجه التاريخي الاستقرائي ناقض فك نفسه بنفسه حين نسي أن كسر ياء المضارع لهجة فعدّها لهجة مرّة ولحنا أخرى75 .

واتخذ من ظاهرة الشعراء الشعبيين دليلا لايقبل الشك مثل محمد بن يسير " .. من الوجهة اللغوية سلسلة من السمات المولدة الطابع مثل حذف الهمزة المحققة ، لافي الصيغ الدارجة فحسب مثل: حَرامّه ، بدلا من :حر أمّه، بل كذلك في مثل :قِراة، بدلا من قراءة ، كما أدخل نوعا من الاختصار الذي اشتهر في اللهجات المتأخرة ، بجمعه لفظ: شاهين بمعنى صقر على شواهن بدلا من شواهين...

فاذا أضفنا الى هذا كله ذلك العدد الجم من الدخيل الفارسي ، حصلنا على صورة من التعبير الشعري ابتعدت كثيرا من الشعر الفصيح في الصدر الأول." 76وهذا قول غير سديد لأن الهمز والتسهيل من سمات لهجتي تميم والحجاز" فاهل الحجاز يسهّلون الهمزة ولاينبرونها ، فيقولون : توضيت وراس وفاس بلا همز.. وتميم تنبر الهمزة أي تحققها ، وتلتزم النطق بها ، تقول رأس وفأس بالهمز."77 المعرّب موجود في القرآن الكريم " فتعريب الاسم الاعجمي : أن تتفوه به العرب على منهاجها ، تقول: عربته العرب وأعربته أيضا. ... ومن المحدثين ، قال عبد القادر المغربي: (جعل الكلمةالاعجمية عربية). وقال أيضا: المعرّب ، ويسمى أيضا دخيلا ، وهو ما استعملته العرب في الالفاظ الموضوعة لمعان في غير لغتها

وبعد فان المعرّب والدخيل من الألفاظ قديم في لغتنا ، وهو تحويل طبيعي او تغيير تدريجي يطرأ على اللغة ويجري بها في ناموس ، مطرد. وقد خضعت له اللغة العربية بمجموعها ومن اول نشأتها كما تخضع له الان وبعد الآن." 78وشعر الاعشى ضم كثيرا من الدخيل من الفارسي وغيره وهو مخضرم عاش متنقلا بين البادية والحيرة والتقط كثيرا من ألفاظ حواضرها،فليس بدعا ان نرى في لغة شاعر واساليبه ميلا عن لغة الصحراء وقوالب البداة الجافية (زهير والاعشى ..) فليس هذا حكما قاطعا أو دليلا على لغة مولدة جديدة ، وقد استشهد غير احد من النحاة واللغويين بشعر الاعشى ألفاظا وتراكيب . وقد عدّ عصر هارون " العصر الذي وُجِدَت فيه لغة الشعب للمرة الاولى مساغا في التعبير الأدبي ، فكما في قصّة جدّ معروفة ، يروى أن هارون بعد أن قضى على البرامكة ، منع الناس أن يبكوا القتلى في مراث تشيد بذكرهم ، ولكن جارية لجعفر بن يحيى بن خالد بكت سيدها القتيل في قصيدة نظمتها باللسان الشعبي ، تختم أبياتها بقولها : يا مواليه !" 79 وهذا غير وارد في التوثيق اللغوي لتطور اللغات ، فكيف لباحث يدعي التخصص في تاريخ اللغة اعتماد هذيان جارية ـ لانعرف جنسها أو هويتها وولادتها في أرض العرب ام في بلاد الاعاجم وبم تأثر لسانها ـ في توثيق تطور تيارات العربية المولّدة كما سمّاها وعدِّ لغتها لغة الشعب ؛ إن نظام التأليف في العربية وعلومها وأساليبها والفاظها في عصر هارون وابنه المأمون لايدع مجالا للشك ان العربية الفصحى كانت سيّدة الآداب واللغات بين شعوب الأمّة الاسلامية باكملها . فلغة أي شعبٍ كان يعني؟ ولتهافت الرواية التي نقلها نجده يقول" بيد أن حظ هذه الاسطورة من الصحة ضئيل ، مثل التأويل الذي حاكه بعضهم ؛ في أن أول من نظم أغاني المواليا ، هم عبيد من واسط كانوا يتغنون بها في أثناء العمل." 80 فضلا على

استعانته بمؤلفات متأخرة جدا عن عصر هاون الرشيد مثل(أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، شروح ديوان المتنبي الفسر لابن جني ، الاغاني للاصفهاني وكتاب سفينة النحاة) وإذا عدنا الى ديوان ابي العتاهية او اخباره نجده أقرب الى النظم الشعبي ، نقل الاصفهاني " من كتاب هارون بن علي بن يحيى: حدثني عليّ بن مهدي قال حدثني الحسين بن أبي السَّريّ قال: اجتمع أبو العتاهية ومسلم بن الوليد الأنصاريّ في بعض المجالس ، فجرى بينهما كلامٌ ، فقال مُسلم : وَالله لو كنتُ أرضى أن أقولَ مثل قولك :

الحمدُ والنعمة لــك والملكُ لاشريكَ لكْ
لبيك إنّ المُلكَ لكْ

لقلتُ في اليوم عشرة الآف بيت." 81 فضلا على احتفاظ العربية الفصيحة بجزالة ألفاظها ووعورة بعض معجمية الشعراء زمن أبي العتاهية وبشار حتى وجدنا عنده لفظ (غفص) بمعنى الختل*وبعدهما ؛ أما أرجوزته فهي محاولة مبتكرة لتوثيق الامثال المتداولة ، وجمعها في أربعة الآف بيت إن صحّ خبر الاصفهاني فيها، ويبدو أن اعجابه بشخصيته قد أغفله ثقافة العصر المتنوعة وأثر الترجمة في فنه وذوقه؛ فضلا على طبيعة التأليف وارادة الذوق السلطوي الحاكم، المزدوج والمسمط وغيره إلاّ قول أبي العتاهية نفسه " قال: لأن الشعر ينبغي أن يكون مثلَ أشعار الفحول المتقدمين أو مثل ، شعر بشّار وابن هرمة ، فإن لم يكن كذلك فالصواب لقائله أن تكون ألفاظه ممّا لايخفى على جمهور الناس مثل شعري ، ولاسيّما الأشعار التي في الزهد؛ فإن الزهد ليس من مذاهب الملوك ولا من مذاهب رُواة الشعر ولا طُلاّب الغريب ، وهو مذهب أَشْغَفُ الناس به الزُّهاد وأصحاب الحديث والفقهاءوأصحاب الرِّياء والعامّة ، وأعجبُ الأشياء إليهم ما فهموه."82 وأنكر فك مخمسة أبي نواس ، وهي محققة ومدروسة* وبعد أن أجهد نفسه في تحديد تاريخ نظم الدوبيت ، ونظم بشار بيتين فيه ، لم يملك إلاّ الاعتراف أن الدوبيت " أو الرباعي ، الذي تتحد مصاريعه في القافية ما عدا المصراع الثالث. فهذا القالب الذي لعب ـ في وقت متأخر ـ دورا عظيما في الشعر الفارسي، يُقرن أيضا ببشار بن برد،" 83 فإن لعب الدوبيت دورا عظيما في الشعر الفارسي؛ فمن أين أتى هذا القالب في النظم ومن أين تعلمّه بشار ، وثقافته عربية محضة ؛ فضلا عن ذكره تسمية أهل مكة القدر والغرفة بالبرمة والعلية من عبث الاستنتاج البحثي في تطوراللغات ، إذ ما زال هذا الاختلاف في اللهجات بين البيئات العربية من الجاهلية الى يومنا* ومن المفارقات في منهجه حديثه على مبدأ تنقية اللغة مع ظهور تيار العربية المولدة الذي أصبح تيارا ولغة الشعب كما قرر ، بعد حديثه عن اللغة العربية في عصر هارون ؛ ومن الحقائق الموثقة في تاريخ التأليف في النحو العربي وفي المجاز والتفسير اللغوي والتدوين المعجمي؛ فقد بدأ قبل عصر هارون وان كثيرا من مؤدبي أبناء الخلفاء كانوا نحاة ولغويين فكيف أجاز لنفسه أن يجعل حركة التنقية والتأليف بعد عصره ؛ فلو قال أن نضج المؤلفات واستكمال إستقراء لغة العرب وأساليبها بلغ مجده في عهد هارون ، وأن القرن الثالث شهد نضج المصطلحات النحوية واللغوية والادبية لكان أصوب ، وما نلحظه في مبحث(العربية المولدة) ايجازه ما قاله سابقا بالآتي:

ا- أن عربية البدو صارت القدوة المثلى والمثل الاعلى من جميع الوجوه يحتذيها المثقفون " في الكلام الشفهي، والتحرير الكتابي جميعا." 84 لكنّه أشار الى أثر الحضارة في صوغ القوالب ، تركيب الجمل ، المادة اللغوية ، طرائق التعبير مع أحتفاظها بالتصرف الاعرابي وقواعد الاعراب والتصريف احتفاظا تاما*؛ وهذا كلام يناقض بعضه بعضا ؛ فالقوالب تعني التصريف وتركيب الجمل تعني قواعد الاعراب ، فكيف جمع النقيضين وقد فهم لغة الجاحظ 255هـ وليست بعربية بدو ،واعتمد شواهد لشعراء من غير عصر الفصاحة ، ليخرج من هذا الخلط شرعا في استعمال نظرية الجنس (العرق) والبيئة (جغرافية اللغة) قال:" وقد أخذت هذه العربية المولّدة تكتسب مناطق جديدة بسبب التغييرات السياسية والاقتصادية التي أحدثها سقوط الدولة العربية ، وإن بقي المجتمع الراقي بعيدا عن التأثر بها تأثرا يؤبه له حتّى القرن الثالث (التاسع الميلادي) ؛ كما أن الاوساط الأدبية كانت أبعد عن نطاق التأثر بها كذلك. أما اليهود والنصارى بالمشرق ، الذين كانوا يعيشون في جو من التراث الادبي يختلف تماما عن محيط العالم الاسلامي من حولهم ؛ فقد ظلوا طويلا من دون أن يكون لهم نصيب من الثقافة الاسلامية. ولذلك لم يستخدموا لأول عهدهم بالكتابة العربية ، تلك العربية الفصحى ، بل اللغة الدارجة في عصرهم. ومن هنا كانت الآثار المسيحية ـ العربية الاولى ، التي ترجع الى القرن الثاني ـ الثامن ، ذات قيمة ممتازة أيضا بالنظر الى تأريخ اللغة العربية ؛ إذ نجد فيها النصوص الاولى للعربية المولدة في صورة متماسكة." 85 ولم يقدم نصا واحدا للعربية المولدة المتماسكة؛ وهذا كلام متهافت أمام حقيقة المؤلفات الهائلة في العربية الفصيحة ، فضلا عن دواوين الشعر العربي المكتوبة بالعربية الفصيحة ، وكتب الفلك والفلسفة والفقه المدونة بالعربية الفصيحة لاالمولدة العاميّة التي ادّعاها؛ فضلا على اللغة الدارجة المشتركة بين اليهود والنصارى ـ وجيرانهم المسلمين ـ الذين لم يستطيعوا تكوين لغة خاصّة بهم لأن "تلك الخصائص القليلة في مادتهم اللغوية وطرائق تعبيرهم ، إنما نشأت من طبيعة الموضوعات التي يعالجونها ، بحيث لاتقوى على تكوين لهجة ـ يهودية ، أو مسيحية ـ عربية خالصة."86 وهذه العبارة كفيلة بنسف كل جهده السابق في تنظيره وشواهده على نمو العربية المولّدة ؛ ومن الغريب أن نجد باحثا اكاديميا مثله يستعمل عبارات (ربما كان ،وإلاّ لما) افتراضية عدّها أدلة وشواهد إثبات على نظريته مثل" وإلاّ لما لقي الاخطل النصراني اعترافا بأنه شاعر فصيح معتد به، وزيادة على هذا فقد سارعوا بالدخول في الاسلام ، بحيث لم يبق أثر مما ربما كان للهجتهم من خصائص لغوية،هذه العربية التي نجدها في الأدب اليهودي والنصراني في القرون الوسطى ، إنما نشأت من الاستعمال اللغوي عند طوائف اليهود والنصارى خارج الجزيرة العربية ، الذين لاصلة لهم بالبادية وعربيتها ، بل استخدموا منذ البدء العربية المولدة الدارجة،"87 ولانعرف في تاريخ الأدب العربي كله شيئا سُمِّي يهوديا أو نصرانيا ، إ'نما هو أدب عربي ابن بيئات اسلامية ، أو نصرانية أو يهودية منذ الجاهلية ؛ أفرد ابن سلاّم في طبقاته طبقة لشعراء اليهود الثمانية ورأسهم السموأل وأبيات بعضهم شواهد نحوية، جاء في الطبقات " وفي يهود المدينة وأكنافها شعر جيّدٌ ، منهم السموأل بن عادياء.." 88 فكيف وضع أسسه التي لم نعرف عالما عربيا أو مسلما لغويا أو ناقدا اعتمدها في الدراسة أو حتى في دراسة اللغة ؛ كذلك لم يفعل عالم غير عربي سابقا أو لاحقا أرسى مثل هذه النظريات في تاريخ تطور اللغة العربية ولاسيّما اعتماده ظواهر لهجية في إثبات اللغات ؛ مثل تسهيل الهمز وهي من الفروق بين لهجة الحجاز الهامزة ولهجة تميم المسهّلة*، أمّااستبدال الضاد بالظاء ، فضلا على العجمة التي عرضت

في العاميات بفعل اختلاط العناصر الاعجمية في العربية ؛ لكنه بالغ في جعل بعض الظواهر الفردية تيارا جديدا في اللغة كإبدال الضاد بالظاء"، ثم يذكر بعد هذا أن بعض الناس ينطقها دالا مفخمة ، وبعضهم ينطقها دالا عادية .وأخيرا ينطقها بعضهم لاما مفخمة ؛ ومن بين جميع هذه الصور ، يكثر نطقها اليوم دالا مفخمة ، وعلى هذا الاساس صورت كتابتها بالحروف اللاتينية. ويبدو أن إبدالها بالدال كان من خصائص النبطية، فقد رُوي أن زامر هارون الرشيد برصوصه ـ يدل اسمه على أصله الآرامي ـ المنتمي إلى الطبقات الدنيا من سكان سواد الكوفة ، كان يقول أبيد ، بدل أبيض ، ويكثر في النصوص اليهودية والنصرانية إبدال الضاد ظاء."89 ويعني بالنصوص الكتب المقدسة لهذه الديانات المترجمة الى العربية وللترجمة ظروفها وثقافة صاحبها ؛ فلا يُقاس على لغتها إلاّ حين تشكل ترجمة صاحبها ظاهرة؛ فضلا على أن صفة الضاد" .. مجهور مزدوج . وقد تكتمل شدّته في بعض البلاد العربية فيصبح كالدال المفخمة ، كما قد تكتمل رخاوته في نطق بعض البلاد العربية فيصبح كالزاي المفخمة. ومخرج الضاد القديمة عند سيبويه من بين اول حافة اللسان وما يليه من الاضراس."90 أمّا الظاء فـ" مخرجه من طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا. وهو مجهور رخو، وهو ايضا مطبق ، وهذا الاطباق هو الذي يفرق بينه وبين الذال." 91 كما أن الحالات الفردية ليست ظواهر يبنى عليها حكم عام ، ثم لننظر مقدار التناقض في اقواله فقد نقل أول النص عن السيوطي،وخبر برصوصه من الاغاني وهو يتحدث عن العربية المولدة بعد القرن الثالث الهجري أي بعد عصر هارون ويستشهد بنصوص من عصره، وعاد بعد ذلك ليشير الى لهجة بلعنبر* وهي ليست لهجة انما نحت، وأحد نصوص (موسى بن ميمون اليهودي) واستشهد باخبار لم يحدد زمنها ، فضلا على نقله الاخبار (المثل السائر وجامع الالفاظ للفاسي وليـاقوت في معجم البلدان) بعد نقله ظواهر اللهجات في العربية وتقارب مخارج الاصوات التي يبدو أنه يجهلها أو تجاهلها كقانون من قوانين التطور اللغوي وليس من "الطبيعة الحقيقية للعربية المولّدة ، والفرق الخاص الذي يميزها تجاه العربية الفصحى ، إنما يقوم على تغير في تكوينها بعد ترك التصرف الاعرابي من اماراته الظاهرة،وبهذا نهجت العربية المولّدة منهجا اجتازته جميع اللغات السامية الأخرى قبل ذلك بكثير. وهذا لايدل على أن ذلك التطور يرجع الى أسباب عربية داخلية بحتة ؛ فإن الحقيقية الثابتة من أن التصرف الاعرابي عاش قرونا طويلة في لغة البادية ، ولايزال ماثلا في بعض بقاياها الى اليوم ، تنطق بوضوح على خلاف ذلك الاحتمال .92 ولا نعرف أدبا أو نحوا مكتوبا للساميات التي سبقت العربية بكثير لنستطيع المقارنة والحكم كما فعل . ذكر لغة عربية جديدة لأهل الامصار التي فتحها العرب اتسمت بالتحلل والتنازل عن التصرف وضوابط استعماله كثيرا أو قليلا ، مدعيا استقاءه هذا الاستنتاج من "مصادرنا ، في ذلك الصدد،"93ولم يذكر لنا واحدا من هذه المصادر ؛ ويبدو أنه اراد بالمصادركتب النحو فقال" ولكن هذه الخصائص المحلية أمكن تفاديها بوساطة سلسلة من قوالب التعبير الجديدة ، التي أخذت في عربية الدولة ، وبعد ذلك في العربية المولّدة ، الصفة النحوية التي كان يأخذها الإعراب في الفصحى. ومن قوالب التعبير المذكورة ـ مثلا ـ التجديد في علاقات مواقع الكلمات ؛ اذ أن ترك الاعراب في أواخر الكلم يجعل من المتعذر تمييز الفاعل (إلاّ إذا كان في صورة ضمير يتميز بصيغته) في آخر الجملة ، او بعد المفعول فبدلا من ذلك يجد المفعول المباشر في الجملة الفعلية مكانه الطبيعي بعد الفعل المباشر ،...وحتّى في الأفعال المتعدية لايوجد في الترتيب القديم سبب للالتباس إذا كان المفعول ضميرا متصلا (أكلوني البراغيث). وعلى الرغم من ذلك كثيرا ما يؤدي

تقديم الفاعل الى اضطراب في الجملة القديمة،" 94 ولايمكن بأي حال من الأحوال تقديم الفاعل على الفعل في العربية إنما تقديمه في العربية يجعله مبتدأ؛ ويحسب للسيد فك جرأته على البحث في أساليب العربية ونظام جملها ولغاتها وهو غريب عنها وبعيد عن اتقان اصول نحوها فما بالنا باسرارها ؛ وما قاله في لحن العوام وبعض من يدعي العلم نقلا عن الجاحظ لايُعدُّ تيارا في عهد الجاحظ ، وكان في عهده وزراء مترسلون وأدباء ، وبعد زمن الجاحظ ؛ بل هناك خلفاء شعراء .
لم يمز الرجل الاساليب التي طرأت بفعل الترجمة في أدب الكتّاب ورجال الدين (النصارى) تعتمد ثقافة الانسان ولاسيّما أنها ثقافة غير قرآنية ، وخرج بعد ذلك بوصف نظام العربية المولّدة * ، وقد استدل على طبيعة هذا النظام مما " تدل عليه النصوص النصرانية ـ العربية ، أو اليهودية ـ العربية ، التي ترجع قيمتها من الوجهة اللغوية التاريخية ، الى أنها تعين على متابعة اللهجات الشعبية الحديثة حتّى ظهور الأسلوب التحليلي للغة في وقت كانت الآداب العربية ، المكتوبة بأقلام المؤلفين المسلمين ، لاتزال في إسلوبها اللغوي ، مليئة بالمثل العليا للعربية الفصحى." 95 وهذا أغرب منهج في دراسة ظواهر اللغة واستقصائها ، لأنه لم يذكر عدد المؤلفات أو النصوص (النصرانية ـ العربية او اليهودية ـ العربية) وفي أيّة بيئة كان انتشارها ولاسيّما أنه إبتدأ دراسة بعض اللهجات في الشام والعراق ومصر وذكر بعض المؤلفات هنا وهناك وبعض المسميات المتباينة بين لغة البصرة ولغة المدينة ومكة نقلا عن الجاحظ وغيره، فلابد له أن يتابع منهجه لنستطيع الوقوف على ذلك ويتمم جهده العلمي الذي لو توافر فيه جرد بهذه المؤلفات والنصوص لكان مصدرا تاريخيا هو الآخر.
ومن المتناقضات في منهجه عنوان فصله السابع(العربية تصير لغة الأدب الفصحى) الذي أراده فصلا لاستقصاء التأليف اللغوي والأدبي في النصف الثاني للقرن الثالث الهجري وصفه جاء سوسولجيا للمجتمع الاسلامي وتحولاته الثقافية والقيمية مقارنة بطبيعة المجتمع البدوي الذي افترضه للمسلين الاوائل أصحاب الفصاحة ؛ فجاء تنظيره مطابقا للمنهج التاريخي الممتزج بالتحليل السياسي للمجتمعات ، واجملها في:
ـ التحولات السياسية في حياة الخلافة العباسية (انحلال الدولة واعلان الاقاليم استقلالها واحدا تلو الآخر).

ـ صعود نجم الأجراء الاجانب وظهور العنصر التركي قائدا للجيش وصاحب نفوذ سياسي.
ـ تحول الحكم الى صفة (العسكرية) مع انحلال سياسي واقتصادي ، فانحط مستوى الثقافة العامّة.
وهذا يذكرنا بتعريف كولنجود للتاريخ بأنه "نوع من أنواع البحث العلمي يستهدف الكشف عن حقيقة الاشياء التي تضمنتها جهود الإنسان في الماضي لتقويمها"96،ولكن التاريخ ليس علما إلاّ من ناحية المنهج وهو علم نقد وتحليل وليس علم تجربة ؛ واختبار واختيار فك المنهج التاريخي ساق اتجاهات مصطلحات التاريخ على دراسة اللغة وتطورها وهي مصطلحات هدفها" الاول، يرى أن كل كلمة تاريخ تدل على جميع الوقائع الطبيعية والاجتماعية في الكون منذ نشاته حتى الوقت الحاضر.
الثاني، يرى أن كلمة تاريخ تعبر عن الآثار التي يتركها وقوع الحوادث على الطبيعة والمجتمع.
الثالث، يرى أن كلمة تاريخ تدل على ما استطاع الإنسان ان يعرفه من الحوادث التي وقعت في الماضي في الطبيعة والمجتمع.

الرابع، يرى أن كلمة تاريخ تدل على جميع الحوادث التي وقعت نتيجة النشاط الإنساني، أما الحوادث الطبيعية، فأصبحت جزءا من ميدان المعرفة الأخرى، ويعرف هذا الاتجاه بالمعنى الاجتماعي للتاريخ، ويرى أصحابه أن التوثيق أو الوثائق هي الدليل العلمي على التاريخ، ولايوجد تاريخ بدون ذلك." 97 والاخير أكثر تطبيقاعند فك في دراسة آثار العرب والمسلمين اللغوية والنحوية بكل ماضمته من روايات متباينة واعتماد تصويب نحوي هنا وتقويم معنى للغوي هناك أما الشخصيات التي نقل من أخبارها فحالات فردية لايجوز توثيق تاريخ الامم وطبيعة تطورها الفكري واللساني عليه ؛ لكن طبيعة التأليف العربي الاسلامي الاول قاده لفرض المنهج التاريخي على دراسة العربية واساليبها لأن تاريخ العرب بعد الاسلام اصطبغ بالطابع الديني "وكان هذا واضحا في الكثير من كتب التاريخ الإسلامية، مثل كتاب السيرة لابن إسحاق، وكتاب المغازي...فقد وضع عبيد شريه المتوفى 70هـ كتاب الملوك وأخبار الماضين ،لمعاوية بن أبي سفيان، كما نظم هشام بن محمد الكلبي المتوفى 206هـ مجموعة من أخبار أيام العرب والامم الماضية، حتّى الاهتمام بشجرات الانساب في التراث العربي الاسلامي يمثل نوع من التاريخ السياسي كما وضع ابن الأثيرمؤلفه الكامل في التاريخ لخدمة الملك الرحيم صاحب الموصل، بدر الدين التابكي657- 1259م"98وليس غايتنا من هذه الاطالة إلاّ تأكيد اقتباسه لمنهاج العرب في التوثيق اللغوي اوالنسبي الذي يبحث في المسببات فالاسباب لكن قصور قدراته اللغوية في إتقان معارف العربية وفقهها أوقعه في تلك المزالق، لكن اتجاهاته التاريخية السياسة في دراسة العربية نتيجة النظر اليهاعلى أنهاعامل ديني نهض بقوة انتشارالدين وتحلل وتهاوى مع تهاوي الوحدة الدينية، ولذا جعل انهيارالدولة العباسية مثالا على أسباب تونبي لانهيار الحضارات المتمثلة

"1- قصور الطاقة الابداعية في الأقليّة التي تقود المجتمع

2- فقدان الوحدة الاجتماعية في المجتمع لظهور الانشقاقات بين أفراده .

3- عزوف الأغلبية في المجتمع عن محاكاة الأقلية بعد قصور طاقتها الابداعية ."ومع ذلك فإن توينبي كان اعطى فسحة لموت الحضارات بثلاثة أطوار (بضعة قرون) إذ رأى "عمر الحضارة العربية يمتد من القرن السادس عشر قبل الميلاد حتى القرن الخامس بعد الميلاد." 99وجعل فك لكل فصل من فصوله مرجعا كتابيا (وثيقة مؤرخة) لقياس مقدار التطور أو انتعاش تيار العامية أو العربية المولّدة وكان في الفصل السابع أدب الكاتب لابن قتيبة، محضه صفحات من كتابه لشروحه المتعددة ومقدمة ابن قتيبة التي بيّن فيها سبب تأليفه؛ نلحظ في تقديم فك لعمل ابن قتيبة مصطلحات سياسية استشراقية كتمثيل ابن قتيبة (للنزعة السنية المحافظة) ولم يزد على ذلك في ايضاح مصطلحه إلأما اقتبسه منه في وصف المستوى الاجتماعي الثقافي للطبقة الحاكمة ؛ فضلا على اتجاه الثقافة العام في عصره قال" نعم هو لاينكر إنكارا تاما جهود المعتزلة في ناحية القواعد النحوية ،وشرح الاشعار ، وتفسير القرآن، ولكن بقدر رفقه بهم في هذه الناحية اشتدت شكواه من ان المعتزلة جعلوا دراسة القرآن والحديث وأحكام الشريعة في المرتبة الثانية. وقد وصف الجهل المنشور لواءه، حتّى في أرقى الاوساط ، بالتاريخ والأنساب .فالقرشيون لايعرفون كيفية قرابتهم الى الرسول، والاشراف يجهلون شجرة أنسابهم. والأمراء الفرس لايعرفون تاريخ أسلافهم، وعلى النقيض من ذلك يستطيع حديثو العهد بالنعمة والمناصب الرفيعة أن يدّعوا انتسابهم إلى رجال انقرضت أسرهم منذ زمان طويل. وليس الحال باحسن من ذلك في المعارف

الخاصة، فعلى أحسن الفروض نجد الرجل مغلبا في فنه الذي اختص به. كما أنه ليست له ثقافة عامة. ومن يستطيع أن ينشد أبياتا من الشعر يعدّ عالما؛ ولايعرف الكاتب مطمحا أسمى من أن يكتب خطا جميلا." 100 وحكم على قرن من الزمان ثقافيا وسياسيا واجتماعيا واقتصاديا من وجهة نظر ابن قتيبة ؛ وهو يعلم يقينا أن العصر الذي يصفه عصر التأليف اللغوي والبلاغي والنحوي، ونضج المصطلحات واستقرارها ولاسيّما النحوية الشرعية، وأدب الكاتب كتاب تعليمي للكتبة والمتصدين للتأليف ؛وما قاله من عبث البحث العلمي ولاسيّما أن استقصاء المفردات اللغوية من مراحل نضج الامم ورقيّها واكتمال واستواء التصنيف اللغوي *ودليل ذلك ادراكه بُعد رأيه عن الصواب فقارن بين عقلي الجاحظ اللغوي وابن قتيبة ،فجعل الأخير يبحث "- على خلاف الجاحظ - بدقة تحفل بالصغائر. ولئن فقدت توضيحاته وبحوثه المفصلة ذلك الظرف المتوثب الخفيف الروح الذي يجعل استطرادات الجاحظ أخّاذة ساحرة ، إنّه ليفيدنا بفضل إسلوبه المتعمق الجزل كثيرا من التفاصيل عن الاستعمال اللغوي في عصره،" 101وشغل مساحة غير صغيرة من كتابه في نقد إسلوب ابن قتيبة ؛ صُنِّف أدب الكاتب في كثير من فصوله على أنه كتاب للغريب من ألفاظ اللغة، في حين كان كتاب البيان للجاحظ في أسس البلاغة والبيان ومن الغريب أنه اتخذ من أسماء النباتات العربية التي شرح ابن قتيبة مسمياتها بالفارسية دليلا على استعجام المجتمع العربي في عصره ، قال "الباب الذي عقده للكلمات الأعجمية في كلام العرب (ص526- 533) الى أي حدّ حفلت اللغة الدارجة بالعناصر الفارسية. وأكثر افادة في هذا المضمار القسم الثالث الأساسي ، وهو كتاب تقويم اللسان (ص 333- 460) بما اشتمل عليه من طوائف من الكلمات التي يعدّها المتزمتون اللغويون من قبيل اللحن أو الرديء."102ولا نعلم متبحرا في تطور اللغات واستعارتها الألفاظ من اللغات ؛ فالعرب لم تعرف الزراعة إلاّ نادرا فمن البديهي أن يعرّب العرب بعض مسميات النباتات ويقبل الآخر دخيلا فضلا على وجود كثير من ألفاظ النبات في القرآن غير عربي وغير أسماء النباتات ؛ فضلا على انحراف اللسان عن النطق الصائب وهو ما دعاعلماء اللغة وأئمة المسلمين لضبط إعراب القرآن وإعجامه، ناهيك عن التأليف المتتابع في عصر ابن قتيبة وبعده - في غلطات العوام وفي بعض ما نقل لهجات قديمة شاعت عند العوام مثل كسر ماضم أوله إن كان يعني في مضارع الافعال أو يكسر والعامّة تفتحه وقد نقل بعض أهل اللغة واصحاب المعاجم الفتح والضم والكسر في كثير من هذه الألفاظ * وخرج من أدب الكاتب الى مؤلفات ابن قتيبة(عيون الأخبار والشعر والشعراء) وهذا من أساليب المستشرقين في استعراض مهارات الجمع والاطلاع ؛مما جعل منهجه وكتابه مشتت المعلومات والعبارة ، إذ لارابط يجمع بين عنوان (العربية تصير لغة الأدب الفصحى) وبين نقده واستقرائه لأدب الكاتب ،وادرك ان الامثلة التي اقتبسها من الشعر والشعراء والموشح في فن البحتري، انما هي"- على اسوأ الاحتمالات - برخصة الشعر. وقد حملت المماحكات وضيق العطن خصومه على أن عدّوا عليه عليه بعض تعبيرات أخرى من اللحن، مثل التهافت في مطلع احدى القصائد:

محل على القاطول أخلق دائره
فاذا كان دائرا فكيف يخلق؟على أنه لاجرم كان يعنّي نفسه في سبيل صحة اللغة وسلامتها، كما كان يلقي أشعاره في تصنع واعجاب بنفسه." 103وفاته أنه حاول مجاراة لغة الشعراء الأول في طبيعة اللفظ البدوي والتصوير الجافي البعيد، فخانه الطبع الحضري الذي طُبع عليه. وهذا ما ادركه نقدة العرب المتقدمين في تطور الالفاظ والتراكيب مع تبدل البيئة الجافية الصحراوية الى الحضرية وترف القصور وغمز من طرف المقارنة بين فصاحة العنصر الفارسي الاصول، وتحول أحفاد السلالة العلوية الى اللسان اللاحن؛ فتساوى بذلك الاصل العربي والفارسي في اللحن ،ونسي أن العروق العربية دخلها العنصر الفارسي والزنجي* والرجل لم يقرأ مثالب العرب لابي عبيدة ولم يعلم أن كثيرا من بيوت قريش كانت جداتهم زنجية أو رومية الأصل ومالنا نذهب بعيدا وجارية الرسول ام ابنه قبطية ؛مما يعني ان تداخل الاجناس متوافر بين أظهر العرب منذ الجاهلية ،ونظرة واحدة في كتاب أنساب قريش كفيلة بإيراد الامثلة الجمّة على ذلك 104 ويعاب عليه نقله الروايات عن مصادر متأخرة تحتاج التثبت والتحقق، والاستنتاج السريع خدمة لنظرية افتراضية الآثار ليس من البحث العلمي الرصين في شيء ، قال "هذا، فالتربية النحوية، والالمام الراسخ باللغة الفصحى، لم يكونا بعدُ إذ ذاك حتى في الاوساط الراقية للمجتمع الاسلامي، أمرا مفهوما بالبداهة؛ فقد صار الكلام على طريقة البدو، أي بالمحافظة على جميع ظواهر الاعراب ـ الامر الذي كان يُعدّ في القرن الثاني منتهى التقريظ لتعبير أحد البلغاء ـ يعتد نسجا على الطراز القديم الذي لايساير روح العصر. ولما زار الخليفة المعتضد مدينة البصرة سنة283هـ مع وزيره القاسم بن عبد الله، استقبله أعيان المدينة وجم غفير من الشعب على القوارب والسفن. وقد تقدم إذ ذاك أبو خليفة الجمحي الطاعن في السن حوالي 205-305 هـ ابن اخي العلامّة اللغوي ابن سلاّم الجمحي، وتلميذه، فألقى شكاية بحضرة الخليفة من البلاء الشديد الذي قاسته المدينة من ثورة الزنج، في لغة من ذلك الطراز القديم البالي ـ إذ الهوّة السحيقة، التي قامت في حياة الفكر على ممر القرن الثالث ـ التاسع، بين العربية القديمة الفصحى، والعربية المولدة الآخذة في الانتشار، من أن النحويين أنفسهم في ختام القرن المذكور، لم يكونوا يستعملون اللغة الفصحى في مسامراتهم ومحاوراتهم."105وليست هذه المرة الاولى التي يعمد الى استقراء لغة عصر باكمله في التأليف من تراجم كتاب واحد (إرشاد الاريب) علما أن في تراجم الكتاب اشارات وافرة لفصاحة أولئك النحاة واللغويين والعلماء وعاميتهم في مجالس السمر على رغم فيض علمهم بغريب اللغة وشواردها، وان كانت للاجناس المختلطة عاميّة تسير الى جوار العربية الفصيحة لأن الامبراطورية الاسلامية متعددة الاعراق والقوميات ومن الطبيعي أن يتأثر نمو وتطور اللغة باجناس وأصول ناطقيها مادام القانون الاسلامي فيه فسحة التسامح ولم يفرض بقوته النطق العربي واللغة الفصيحة بقوانينها؛ انما فرضت سلطانها بسطوة القرآن وحب التماهي بالعنصر العربي الخالص وصفاته، حتى لغير العرب ممن ولدوا بلسانها من الموالي وغيرهم. لقد سار المؤلف على غير هدىً في منهجه حين تابع منهج بعض أساتذته المتأخرين في الاستشراق ، فديدنهم استعراض المعرفة الشاملة واستقراء مصادر الموضوع الذي يتناولونه بالبحث والتحليل ،فلجأ لاستعراض واستقراء كتب العصور التي يتحدث عنها قاطبة وهذا من المستحيلات لمجموعة باحثين فكيف بباحث واحد ؛ فضلا عن بعد استقرائه من التحليل العلمي وحقائق النصوص.
واختار ايراد الاخبار نقلا عن الاغاني أو ارشاد الأريب فكان نقله نقلا عن ناقل ولاسيّما في آراء

الجاحظ ، وعمد الى لي عنق العبارات، فضلا عن نقله من كتب التراجم والانساب والاخبار والادب لاكتب النحو واللغة ليوطد أركان نظريته، فكتب النحو لاتقدم له كبير فائدة لاثبات تيار العاميّة وطبيعة تراكيبها وهجنة لسانها، ومن استقراء انواع التآليف المتقدمة ختم فصله باستنتاج "بهذا توطد الحدّ الفاصل، أيضا في الأوساط المثقفة ـ بصورة حاسمة ـ بين العربية الفصحى التي صارت منذ ذلك العهد لغة العلم والأدب، والعربية المولدة الدارجة حوالي نهاية القرن الثالث."106

الحد الفاصل في نظريته يتحلل في الفصل الثامن:

في الفصل الثامن طرأ تبدل على العنوان ، إذ خلع عليه صفة (العربية المولدة، أو تيار العربية لغة العصر) وتحول الى عربية الأدب في القرن الرابع الهجري ـ العاشر الميلادي وعنوانه يؤكد عدم قدرته ايجاد نصوص باللغة المولّدة وتيارها الدارج فلجأ الى التلاعب اللفظي، سائقا لنا رأيا في فروق الأسلوب بين الشعر الرفيع وأبيات الفرص والمناسبات وبين النثر الفني الرفيع وأدب المسامرة وأساليب العلماء والأدب الاختصاصي فنتج عن ذلك التعبير اللغوي "بشتى الأصباغ والألوان. بيد أنها مع ذلك كله لم يعد يسمع رنينها في الخطاب الحيّ. وان لهجات الأعراب أنفسهم لتعدّ، الى جانب خلوصها المضاهي للقديم، خشنة غير مهذبة. وعلى الرغم من ذلك فقد تُركت ـ لأنها وحدها كانت ذات قواعد ثابتة، ومعايير مقدّرة ـ أثرا خفيا في اللفظ المنطوق، وإن كان مختلف الصور بحسب درجة المتكلم من الثقافة، وباختلاف الوسط الذي يتردد فيه اللفظ."107وهذا نص يناقض قوله في توطيد الحد الفاصل بين الفصحى والعامية في الاوساط المثقفة ، وينقض رأيه في الشواهد على الأثر الخفي الذي تركته لهجات الأعراب في اللفظ المنطوق ؛ ولأنه اتخذ لكل فصل من كتبه كتابا عدّه مثالا لواقع العربية في زمن تأليفه ، وجدنا اختياره لـ(نقد النثر لقدامة) مثاله في الاستنتاج ، والقارئ المطلع يعلم احتذاء قدامة سابقيه في وصف الالفاظ الجزلة والسخيفة، ومواضع استعمالها وحكاية إنسان النوادر والمضاحك، وألفاظ السخفاء والسفهاء "متى حكاها الانسان على غير ما قالوه خرجت عن معنى ما أريد بها، وبردت عند مستعملها، وإذا حكاها كما سمعها وعلى لفظ قائلها، وقعت موقعها وبلغت غاية ما أريد بها."108ويبدو ان ما استوقفه في عمل قدامة الشروط التي وضعها لمعرفة لغة البدوي *لكنه أثبت جملة ألغت عنوان فصله؛ إذ قرر أن الإعراب لايوجد إلاّ عند الفصحاء منهم وعند المولدين "الذين تأدبوا ونظروا في النحو واللغة، وأخذوا بهما أنفسهم... أما لغير هذين النوعين فليس يصح إعراب، ولهذا كثر الخطأ في النحو، وانتشر اللحن، بحيث أصبح مغتفرا بوجه عام."109ونقل رأيا خطيرا ـ تلتقطه أفهام المستشرقين لاباحثي العرب في اللغة والأخبار ـ إذا أعممناه ولم نخصصه مفاده أن اللحن يستعمل "ويُتعمّد له عند الرؤساء والملوك الذين يلحنون ولايعربون، فان الرئيس والملك لايحب أن يرى أحدا من تبّاعه فوقه؛ ومتى رأى أن أحدا منهم قد فضله في حال من الاحوال نافسه وعاداه وأحب أن يضع منه؛ كما صوّب قدامة رأي رجل تكلم في مجلس بعض الخلفاء الذين كانوا يلحنون، فلحن، فعُوتِب على ذلك، فقال: لو كان الإعراب فضلا لكان أمير المؤمنين إليه أسبق .. إذ كان من المتزمتين من رجال اللغة ، أن يتحرى الكاتب تجنب اللحن، على الأقل في اللفظ المكتوب الذي لايغتفر فيه اللحن؛ لأن الطرف يتكرر فيه، والروّية تجول في إصلاحه؛ وليس كمثل الكلام الملفوظ الذي يجري أكثره على غير روية

ولافكرة"110ومن العجيب انه أدرك ان قدامة ابن عصره لأنه أجاز للكاتب النثر المسجوع والترصيع أداة واسلوب مع اتساق البناء لانه من ظواهر النثر في بغداد أيامه؛ وفاته أنه يصف عصرا جاء بعد استقرار الحد الفاصل بين الفصحى لغة العلم والأدب والعربية المولّدة الدارجة ، وان شروط قدامة للعناية بموضوع النثر المسجوع هو في حقيقته وصف نقدي تعليمي لسلامة الإسلوب مع العناية بالموضوع ولاأدري لم هدر فك صفحات من كتابه في وصف وتحليل جمل كتابي أدب الكاتب ونقد النثر إن كانا في قواعد التأليف الفصيح وغلطات الكتّاب،وليس فيهما من تراكيب وأساليب العربية المولّدة ولغة العوام شئ ، مما يمكن استعماله في خدمة نظريته قال:"وهنا تظهر الخطوات الاولى لذلك التطور الذي جعل النثر العربي المسجوع يتحول الى تلاعب لاطائل تحته بالالفاظ الجوفاء ،ينميّ تورّمه وانتفاخه كل فكرة طبيعية نموا غير طبيعي، ويهوي بها أخيرا الى الفناء." 111 فلو قال بواكير التأليف المعجمي لارتضيناه وهو رأي المستشرقين الأول، على أنه قال" فمنذ القرن الثاني ـ الثامن، وضع كثير من العلماء شتى الموضوعات لعلم المفردات، وجمعوا الكنوز اللغوية الخاصّة في مجموعات متفرقة . ولكن موازنة بين كتاب قدامة، وبين المترادفات الناضجة تمام النضج إبّان القرن الثالث، في كتاب الألفاظ لابن السكيت الكوفيّ، تدل مع التوافق التام المتجلي في تشابه المادّة وتوافق الغرض، على فروق عميقة الصدى على الرغم من ذلك." 112 ووجد أن اختياراته (موضوعات ابن السكيت) لاحاجة عملية لاستعمالها فضلا على لغة البداة والاستشهاد بالأراجيز الى جوار الشعر القديم. في حين اقتصر استشهاد قدامة على استعمالات الكاتب الاداري في رسائله الرسمية فتطابقت عنواناته مع موضوعاته وانتقى الفاظا وعبارات مطابقة للمقاييس الصائبة (المتزمتة في مذهبه اللغوي). ومع ذلك نجد المؤلف ينحاز مرّة أخرى الى مادة ابن السكيت من (لهجات الاعراب الحيّة) حتّى في أبواب الفحش والسباب، وجلي أن انحيازه صائب لانه قدّم تاريخ الفاظ البداة وطبيعة استعمالهم اليومي في حين ابتعد قدامة عن الالفاظ الغريبة أو المهجورة ، أو بعيدة المعنى ولاسيّما اعتماد المؤلفين اختياراتهما الشخصية للألفاظ والعبارات مع ميل قدامة للاختصار في الشواهد والمصادرلأن كتابه تعليمي مبسط ـ يذكر أن المستشرقين الكبار عدوا كتب الغريب واللغة مثلها معجمات موضوعات لاعامّة، وفاته ذلك ـ أراد لمستعمله الاقتصار على استعمال لفظ واحد وهذا يتعارض مع ماذكره ،من سوق قدامة للمترادفات اللفظية ، ودليل قولنا أنه عاد ليقارن كتابي قدامة وعبد الرحمن بن عيسى للألفاظ الكتابية *والمؤلفان متعاصران ، ولم يُشر صراحة الى طبيعة التأليف القائم على المختصرات وتصويبات الشروح وذيولها بتعقيبات المتأخرين على عمل الاوائل ، وهذا من طبيعة التأليف في القرنين الثالث والرابع الهجريين
؛ اشار الى هذا غير واحد من المستشرقين مثل بروكلمان وجب ثم اختار لنفسه طريقا مغايرا فعمد الى تسخير مقدمات المؤلفين (قدامة وابن قتيبة) ـ التي محضها المؤلفان لأسباب تأليف كتابيهما ـ خدمة لنظريته (تيار العربية المولّدة) الذي دعا الأدباء واللغويين والنحاة لمحاربتها بمؤلفات ضخمة ومتسلسلة في المعجمية والاساليب والتراكيب، ونسي أن العرب المسلمين أصحاب الريادة في التأليف المعجمي الناضج بما لايدع فسحة لانكاره أو نقده لأن المعجميين العرب قتلوا التأليف في علوم لغتهم؛ فمنهم من ألف في معجمات المعاني ومنهم من ألف في معجمات المباني ومنهم من استدرك ما فات قبله من الألفاظ ومنهم من استقصى الغريب فحسب، ومنهم من جمع جهد الاولين وزاد عليه ومنهم من استقصى المُعرّب والدخيل في القرآن وغيره ؛ فليس جديدا أن يؤلف

قدامة والهمذاني في أدب الكتاب والفاظهم وصوابهم وجزل اساليبهم ، وما لنا نبعد عن عصر قدامة فهذا ثعلب صدّر كتابه الفصيح بـ "هذا كتاب اختيار فصيح الكلام، فيما يجري في كلام الناس وكتبهم، منه ما فيه واحدة والناس على خلافها، فأخبرنا بصواب ذلك، ومنه ما فيه لغتان كثرتا واستعملتا، فلم تكن إحداهما أكثر من الأخرى، فأخبرنا بها، وألفناه أبوابا،"113 ونص ثعلب يؤكد أن الغلط حتى في الكتب وقد فات المؤلف أن يدرك ذلك لأنه قصر تيار اللحن على العامية المولّدة ؛ وهذا سبب تأليف شيوخ المدرستين من النحاة واللغويين في الفصيح والاساليب الرصينة للعربية الفصيحة ، ولو تناول التأليف العربي الاسلامي اللغوي من واقع ممارسة اللغة العربية (مهنة) لدى الوزراء والخلفاء والولاة ، لنقل صورة اجتماعية للغة واقعية لا كما فعل ـ حاصرته أفكار الاستشراق السياسية فسوّس إنتشار العربية وارتباط ذلك الانتشار بالقرآن ـ في تعليل أسباب التأليف في الألفاظ والتراكيب حتى نجده يقول في رأي الصاحب بن عبّاد "وهذا الحكم، على لسان خبير يبين كيف أنه سرعان ما تحول النثر الفنيّ الى بريق لفظي أجوف في القرن الرابع ـ العاشر. فليكن كتاب الهمذاني قد قدم للكُتّاب، السطحيين الساذجي التفكير، المادة اللازمة لتعبيرهم، فإن سبب الانحطاط لم يكن راجعا إليه، بل الى اتجاه الذوق الأدبي في ذلك العصر، ذلك الاتجاه الذي أعلى مرتبة القالب على المادة، لمجرد الإعجاب برونق اللفظ ولمعانه." 114ولفك استطرادات عجيبة جعلت من آرائه جُمَلا مفككة ، مثل وصف سجع القرنين الثالث والرابع ".. ففيما قبل الاسلام كان للخطيب الى جانب الشاعر مقام عظيم.. ولم يكن من النادر أن يستخدم النثر المسجوع . وقد كان السجع يرفع فورات الانفعالية لدى الكُهّان القدماء فوق مستوى اللغة العادية، كما كان أداة الاسلوب التي ميّزت القرآن من ناحية الصورة ، من حيث هو كلام الله، عن كلام الناس . وكانت نتيجة كلتا الحالين أن منع الاتقياء من استعماله حلية في كلام الناس." 115ولم يحدد لنا زمن امتناع الاتقياء ، أو مثالا لهم أو لكلامهم،وقرن الصنعة اللفظية وفنون البديع في السجع بلوحات العمارة الهندسية (الاسلامية) ؛ثم ناقض نفسه بقوله "وبهذا صار التعبير اللاشعوري الذي كان يوحي به التأثير النفسي العميق، تعبيرا إراديا محضا، تصوغه الصنعة والفن الرفيق، وهنا كان الأدباء الخصيبو الذهن، الذين ملكوا زمام فنهم، وحذقوا صنعتهم، يصقلون ويقوّمون ثقاف السجع لنثرهم عن تعمّد وقصد." 116وجعل كتاب الهمذاني خير دليل لأولئك الكتاب ونسي ان الاديب حاذق الصنعة هو من جاء السجع عفوا في تأليفه لا عن تكلّف .* عودته الى لغات العرب بمسمّى لهجات البدو:

في الفصل التاسع (العربية ولهجات البدو) أشار الى لهجات البدو التي هجرهاعلى حدّ قوله المثقفون بعدّها تقعيرا غير لائق ، او مدعاة للسخرية في القرن الثالث الهجري ؛ وتناسى ان هذه اللهجات تخدم جغرافية اللغة التي تحققت في قراءة القرآن ، وأنها اجدى بالدراسة والتحليل من العربيّة المولّدة لأن كثيرا من التراكيب النادرة والقلب والتقديم والتأخير يمكن إيجاد أولياته في تلك اللهجات وبيناتها 117 ومن الغريب أنه مرّبجهود القدماء والمحدثين من علماء العرب والمسلمين فيما كتبوا ولم يلتفت الى شيء من هذه القسمة الجغرافية للهجات و(القرارات) وعلوِّ مراتبها في مكان وانحسارها في بيئة أخرى حتى في بعض أبيات الشعراء التي ساقها دليل استداد ساعد العربية المولّدة الى جوار الفصحى ،قال:"وهكذا صارت العربية الفصحى ، في بداءة القرن الرابع ـ العاشر، لغة للكتابة قطعت جميع أشواط نموّها وتكوينها ، ولم تعد قابلة لزيادة من النموالحيّ فقد غدت انموذجية مثالية، وتغلّب اشعاع الجمال الفني في قوالبها على الفاقة الخشنة،

والعراء المستكره، في لهجات الاعراب المعاصرين." 118وهذا نظر سياسي الى طبيعة اللغة وناطقيها ، إذ هو من متعارف مفاهيم الاستشراق وصف العربي والدين الاسلامي بالفاقة البدوية واللصوصية والخشونة لا من النظر العلمي الاستقرائي لتطور اللغة من حيث هي لغة ، فضلا عن تقريره وصول اللغة شوطا لامزيد من النمو بعده ؛ فلغة العرب خرجت علينا في القرآن والشعر الجاهلي كاملة غير منقوصة وزاد عليها ناطقوها ومتعلموها اماتة لفظ واحياء آخر واستسهال تقديم هنا وتأخيرهناك فضلا على أساليبها البلاغية والانشائية التي لاتخلو مقطعة أو قصيدة جاهلية منها ؛ يؤكد ما ذهبنا إليه التمويه في عباراته مثل (الاعراب المعاصرين)الذين لم يسمِّ لنا واحدا منهم أو يذكر لهجة من لهجاتهم، إذ ميز منهجه بالقفز من كتاب لغة ونحو الى كتاب جغرافي محاولا إضفاء صفة الشمول في دراسته لمظاهر اللغة والتأليف فيها، فنقل نصوصا من كتاب الهمداني(صفة جزيرة العرب) الجغرافي في صفة سهول الجزيرة ووديانها وبواديها بما فيها اليمن وعرض لفصاحة قبائلها وتدرج تلك القبائل في الفصاحة مفصّلا ذلك بحسب التوزيع الجغرافي لها؛ فالكتاب لايصلح لاعمام نظرية العربية المولّدة أو العاميّة المولدة وتيارها وإلاّ فان لغة القرآن لغة الكتابة الرسمية التي جُمع المصحف على وفقها وترك كل لغة مولّدة أو شاذة وغريبة ، وهذا ما أثبته الهمداني في صفة جزيرة العرب من وصف لغة كل منطقة وبطن معتمدا قربها وبعدها عن اللغة المثال ، فضلا على تصنيف الهمداني على وفق كتابه "من فحول الجغرافيين الذين تضلّعوا من هذا العلم، ونقبوا في غرائبه ونوادره" 119ولا يجوز بحال من الاحوال أن يُدرس تطوراللغة العربية وألفاظها وأساليبها من خلاله ، فضلا عن اختلاف عربية اليمن (الجنوب) عن عربية الشمال وهذا ما أكّده أبو عمرو بن العلاء حين قال ما عربية حمير بعربيتنا *إلاّ أن فك شغل نفسه بتمجيد فكرة أن خلوص اللغة من اللحن وفصاحة اللسان لايَرجع الى الدم والنسب في أكثر من فصل ، ومع أكثر من شاعر كما فعل مع بشار وأبي نواس ثم ابراهيم حفيد الامام ، وحفيد آل المهلب حتّى نجده يقول نقلا عن الهمداني "كذلك يُعد أرحب، وهو شعب من همدان، على الرغم من أنهم يتخذون أم بدلا من أل، أداة للتعريف ويستعملون المثنى بالألف في جميع الحالات." 120وهذه لهجة معروفة من عهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم *وهي الطمطمانية ونُسِبت الى طيء ، والأزد وقبائل حمير جنوبي الجزيرة العربية وهذا من جهل الباحث في اللغة التي يعمل عليها مما يعني غلط الاستنتاج لغلط المعرفة والادراك .وما ساقه من عبارات الهمداني في أثر مجاورة القرى وأهل الحضر على فصاحة أهل تهامة واختلاط السنتهم ، فهذا من مقاييس الحكم على فصاحة لغة دون أخرى ، وفصاحة شاعر دون آخراختلطت لغته بالسفر ومجاورة هؤلاء أوأولئك ؛ وإن عدنا لعملية جمع القرآن وكتابته لوجدنا إجماع الصحابة وولاة المسلمين من بعدهم على استبعاد أيّة قراءة أو لغة بعيدة عن لغة قريش في عموم كتابة المصحف .فهل كانت تلك اللغات من تيار العربية المولّدة زمن تدوين القرآن ؟ لقد وظّف الرجل بعض النصوص توظيفا سيئا في إثبات نظريته، فالهمداني وصف بعض اللهجات لكنه لم يقدم نصا مكتوبا لها أو نصا شعريا إلاّفيما ندر *، وعلى اللغوي ايراد الدليل اللغوي لاثبات قوّة تيار العربية المولّدة ؛ لنعلم الحدّ الذي استطاعت فيه اجتياح ميدان الاستعمال الكتابي ولغة الدواوين والتدوين وان كان الهمداني وصف قرى ووديان وسهول وجبال وقبائل العرب وفصاحة بطن دون آخر في صفحتين فإن فك قطّع صفحتي الهمداني الى أربع. ليصل الى القول "أما عن اللهجات التي يُتكَلَم بها خارج اليمن، فيكتفي الهمداني (ص136س8) بملحوظة عامّة: وأما العروض ففيها الفصاحة

ما خلا قراها،.. ثم ختم ذلك بقوله: فهذه لغات الجزيرة على الجملة دون التبعيض والتقنين (أي دون التفصيل بذكر الخصائص الخاصّة).
هذا بيد أنه لم تكن مراعاة هذا التنوع للحياة اللغوية المتجلي في اللهجات هي العامل الوحيد الذي حمل المثقفون، منذ القرن الرابع ـ العاشر، على تغيير نظرهم إلى لغة الأعراب؛ بل لقد كان أدعى إلى ذلك التطور هذه الحقيقة الثابتة، من أنه قد حل في ذلك العهد، محل النشاط في الجمع والوصف الذي كان يقوم به علماء اللغة القدامى، علم للّغة منظم تنظيما فلسفيا زاد الباحثين قوة وثقة من أنفسهم فهذه البداهة المطلقة التي كان القرن الثاني ـ الثامن، يعتمد بها كل أعرابي فصيح على أنه قاض لغوي غير منازع، وكان ينحني لحكمه يمتثل لنطقه، قد تركت مكانا للروية والنظر العلمي، الذي لم يعد ـ كما كان في القرن الثالث ـ يكتفي بأن يعترض على صيغ واستعمالات متفرقة من لغة الأعراب؛ بل أخذ يبحث في نقد وتمحيص عن وجه معقول للتضاد بين لغة الأعراب وقواعد النحو." 121واتخذ من هذا الوصف حسن تخلص لولوج وصف جهد ابن جنّي في خصائصه بشأن لغة الاعراب واخطائهم ونقل من ذلك الباب "؛ ذهب فيه بالاتفاق مع استاذه أبي عليّ الفارسي 288-337هـ إلى أن الأعراب قد يقعون في اللحن لأنهم ليست لهم أصول يراجعونها ولا قوانين يستعصمون بها، وإنما تهجم بهم طباعهم على ما ينطقون به، فربما استهواهم الشيء فزاغوا عن القصد." 122 وشغل كتابه بدواعي تأليف بعض المعجمات والكتب نقلا عن كتب التراجم لامن المؤلفات نفسها؛ونقل مقارنات القدماء واصحاب التراجم بين اللغويين والنقدة، وهذه احكام الطبقات اوافضلية ناقد على آخر وميزة عمله حتّى وجدناه لايفرّق بين التأليف النقدي وبدايات منهجته على أيدي الأدباء النقدة لا اللغويين النقدة، قال "ولا يوجد بين كبار رجال النثر في القرن الرابع، من لم يقرض أيضا الشعر الرشيق، والنظم الأنيق:الخوارزمي، البديع، الهمذاني، ابن العميد، الصاحب بن عبّاد، المهلبي ، الاسكافي ...الخ. والى أي حدٍّ رسخ الشعور والإحساس بشدة القرابة، وقوة الرابطة بين النثر والشعر؟ هذا ما يتصدى لبيانه كتاب الصناعتين لابي هلال العسكري، الذي يعالج كلا الاسلوبين جميعا في النتاج الأدبي." 123ونسي أن صاحبي الوساطة والموازنة من الأدباء النقدة، ومتأخرين عن العسكري فكيف خلط النقد الادبي القائم على المقارنات واصطلاحات السرقة والعمود والتقليد والابتكار والابتداع وغيرها ،وحركة تنقية اللغة على حدّ تعبيره.

الفصل العاشر استمرار لسابقه:
فصله العاشر لايمكن أن نقول في عنوانه (العربية واللغة المولّدة) في القرن الرابع الهجري ـ العاشر الميلادي جديدا،وعنوان الفصل وما تضمنه لاينفصل عن حديثه السابق في النثر والشعر الرشيق والنقدة الجدد.لكنه الفصل المتفرد في كتابه بمطابقة منهجه لإظهار معالم تيار العامية الجديد اللاحن في التأليف وصياغة الافكار؛فضلا عن تجلي منهجه التاريخي السياسي المصطلحات قال" آذن انحلال الدولة العباسية نهائيا الى أكثر من عشر دويلات مستقلّة سنة 936/324م؛ بابتداء عهد جديد للعربية المولّدة،فاكتساب التحرر الجديد من بغداد، لم يظهر أثره في السياسة والاقتصاد، في كل إقليم فحسب؛ بل كان كذلك بعيد الآثار في الدائرة اللغوية. "124

،وجعل كتاب المقدسي أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم "ذروة الأدب الجغرافي للعصر الاسمي الأوسط، كنزا لتاريخ العربية المولّدة، ندين له ببيانات نفيسة القيمة، ولاسيما النظر الى جغرافية الكلمات."125ومع ذلك ظل مقام العربية الفصحى في العالم الاسلامي ثابتا غير منازع باعترافه ؛وهذا يعني لاحدود فاصلة ولا تحرر من سلطان القواعد النحوية واللغوية كما حاول إيهام القارئ.*

ـ وللرجل آراء غريبة في نفوذ العربية (نفوذ الاسلام ممثلا بالقرآن)مثل "وقد ساعد على اتساع دائرة نفوذ العربية، أنها صارت لغة فصحى في درجة ثابتة كاملة الحلقات، ولم يعد لها تأثير حيّ متبادل مع لهجة الأعراب فلم يعد من المستطاع أن ينشأ المرء ، ويترعرع في بيئة لغوية حيّة؛ بل كان عليه أن يتعلمها كما يتعلم لغة ميتة دائرة."126 وهذا رأي خطير فلو كانت ميتة لم يتعلمها ، وما معنى ميتة دائرة؟ أهي لغة المستحيلات.ومثل هذامصطلح (وجهة نظر الدوائر الاسلامية) وغيرها كثير.

ـ ورصد في لغة المتنبي الشعرية صيغة الجمع بدلا من المثنى " .. فهو يتحدث عن رُكب الإبل ، فيجمعها على صيغة: ركباتها، بدلا من صيغة التثنية :ركبتيها. وهذا لايصح توجيهه، كما ذهب إليه الواحدي، بالاشارة الى آية 4من التحريم{ إن تتوبا فقد صغت قلوبكما؛ ولا الى البيت الذي يتكرر الاستشهاد به كثيرا:

ظهراهما مثل ظهور التُّرَسينْ}، إذ أن التثنية في هاتين الحالين مفهومة من تثنية الضمير المضاف إليه، أو من الاسم المثنى المضاف إليه، بل هو اتجاه الى الظاهرة الملحوظة اليوم في كثير من اللهجات العربية، وهي مطاردة الجمع للمثنى وتغلبه عليه." 127ولاأدري كيف فاته أن المجازليس في الالفاظ وحدها، إنما في التراكيب في آية 22الاعراف { فدلاهما بغرور} والفاعل مستتر هو والهاء مفعولا ؛فضلا عن كلا وكلتا التي تلحق بالمثنى مع الضمائر وتعرب بالحركات مع اضافة الاسماء. وجعل فكرة تطواف اللغويين والنحاة والشعراء دليل تبادل الافكار الاسلامية الثقافية، مما حفظ للغة الأدب (طابعها الفصيح) على حد تعبيره ؛ في محاولة إثبات وجود عامية الى جوار الفصحى فهل كانت تلك العامية أو العربية المولّدة مختلفة في إقليم دون آخر،فرصد بضعة استعمالات لغوية وتركيبية لاتبتعد عن حقيقة اللهجات أو ظواهرقديمة احياها الشعراء ؛قال"ففي عهد الصفدي 694-774هـ كانت جمهرة علماء اللغة تكتب في رسائلها الخاصّة : المملوك يقبل الايادي الكريمة؛ وكان الاحساس اللغوي عند الصفدي تجاه المثنى ضعيفا"128واتخذ لغة المتنبي ـ بوصفها ظاهرة شغلت الوسط اللغوي نحوا وصرفا ونقدا لقرنين من الزمن ـ مثالا على العربية المولّدة* وعدّ كثيرا من استعمالاته المجازية والبدوية النادرة غلطا وتيارلغة مولّدة حتّى اختلاف الروايات في بيت من أبياته، وجعل خصائص لغة المتنبي المثَّوِّرة للغة ظاهرة امتداد العربيّة المولدة ـ مازال الشعراء حتّى يومنا يقلّد لغة المتنبي وصوره ـ مثلا أخذ عليه" الاختيار الذي يؤلف المتنبي نظمه على مقتضاه سقيما مضطربا، فيتجلى فيه عجزه عن التعبير الموافق لروح العربية القديمة؛ مثل تقديم المسند إليه في الجملة الفعلية، فهو ظاهرة خاصّة بالعربية المولدة، كذلك إضافة ضمير الاسناد المتصل إلى الجملة الفعلية أيضا دون حصر ولا تأكيد، كما في البيت المشهور.

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا" 129ولن نعلل الامر بثقافة المتنبي الكوفية إنما نكتفي بقوله تعالى "أأنت قلت للناس اتخذوني وامي إلهين" المائدة 116ولا نعلم

باحثا وصف أساليب القرآن بالعربية المولّدة، قبله؛ وجعل من فورة التأليف في شعر المتنبي وتقصي غلطاته وسرقاته وابتداعات أوصافه وتشبيهاته مدار بحث فصله العاشر واطلق أحكاما تغلّب نظره الشخصي وآراؤه الشخصية ومشاعره على النقد والناقد في عمله الذي يُفترض به مجانبة الهوى ؛فضلا عن اقتباسه آراء ابن عبّاد ونقد عمله على شعر المتنبي*، وليس هذا من عمل اللغوي في إثبات نظرية المولّدة التي رسمها محورا لكتابه إذ يدور حول الفكرة في احد عشر فصلا من دون الخروج بدليل دامغ وحجة ثابتة،فلجأ الى متعارف مصطلحات التنظير الايدولوجي للفنون السقيم في تأسيس نوع من النقد مثل "، لم يعلق الصاحب ص 20إلاّ بأنه .. وتجمع من الحساب مالا يدرك إلاّ بالأرتماطيقي وبالأعداد الموضوعة للموسيقى، وتصور كلام الحكل، ورطانة الزط."130وجعل من بعض الآراء في شعر المتنبي قال " وهذا التساهل والتجاهل التام الذي يبدو من ابن عبّاد تجاه اللحن اللغوي في شعر المتنبي*، هو ظاهرة عامة للموقف الذي أخذه الأدباء في أوائل العصر الإسلامي الأوسط من مسألة الفصاحة وسلامة اللغة؛ فبين الحين والآخر يتذكر أحد علماء اللغة أن هذا التركيب أو ذاك خاطئ في قانون اللغة الفصحى البدوية؛ ولكن مثل هذه الملاحظات تأخذ تدريجا في الندرة عند أدب الشروح، حيث يأخذ تفسير الشعراء هنا طابع الذوق الأدبي الذي لم يكن يصدر في حكمه ـ بعد ـ عن القواعد والنحو، بل عن مقاييس الإسلوب بوجه خاص."131 لم يبن لنا معنى اوائل العصرالاسلامي الاوسط ولا أمثلة لأدبائه تحديدا، فضلا على تعدد الشروح وطولها لغويا ونحويا مما أوجد حركة مختصراتها،وجعل من نتائج ذلك الطابع الصناعي الفني للغة الأدب " إحتياج مصنفات الشعر الرفيع، والنثر الفني البديع ـ في ذلك العصر ـ الى الشرح والتفسير، حتّى انتشرت لدى الرأي العام فكرة أنه كلما تعسر فهم الأثر الأدبي الفني، رجح وزنه وعلا قدره." 132،ولا نعلم شروحا في العصر الاسلامي الوسيط المجهول التاريخ في بحثه ؛ لكننا ندرك بدأ الجمع والاختيار عند حمّاد في اواسط العصر الاموي المسمات المطولات وهي مثال لغة التحرر من الصنعة والتكلف ومرآة الطبع فضلا على تأخر شرحها الى أوائل العصر العباسي، وقد ظهرت الصناعة شعر العصر الاموي وتفشت غير قليل بين شعرائه وارتبط الاسلوب بالبناء (نحوا وبلاغة) لاحتذائهم اساليب القرآن اللغة العليا المثلى للعصر،لأجله عاد يدوّر الافكار في تبويب المصنفات في الشعر واللغة والنحو ونقد منهج بعض شرّاحها* ونقدتها ؛ فضلا عن المألوف في ميدان النقد أن الحاذق من النقدة من فتح معان جديدة للنص لاكما قال؛ وجعل ديدنه في استقراء التوليف في شعر المتنبي عدم الادراك أنه ظاهرة وأن التاليف والرد عليه كان جزءا من هذه الظاهرة ولاعلاقة لهذا بلغة العوام وتيار العربية الجديد؛ وذكر آراء مفقودة المصدر لانستطيع الحكم عليها حتى نجدها.* النقدة واللغويين إلاّ حسن التخلص كما توّهم إذ ختم فصله بقوله " هذا الطابع، العلمي ـ الأدبي، للشعر الفني، الذي جعل ذلك الشعر وقفا، أو حقا ممتازا لشرذمة قليلة من عليّة المثقفين الضليعين، إزداد قوة على قوته في القرن التالي؛بحيث قرن أبو العلاء المعري بعض دواوينه بالشرح والتفسير، تيسيرا لفهمها على القارئ. فأشعار شبابه في سقط الزند، التي تنم عن تأثر قوي بالمتنبي، والتي صيغت بإسلوب حافل بالأخيلة والمجازات، احتاجت الى شرح سقط الزند.. والذي قال فيه الرّحّالة الفارسي: ناصري خسرو 394-452/3هـ حينما زار الشاعر سنة 439هـ: إنه بقي غير مفهوم في القسم الأعظم منه حتّى لتلاميذ الأستاذ أنفسهم."133 وهذا شأن الشعر في كل عصر لايفهمه ولاينظمه إلاّ الخاصّة إذ هو ملكة وطبع فريد في بعض الناس لاكلهم وإلاّ لقال كلنا شعرا في حديثه اليومي فضلا على وجود طبقات في

فصاحة وثقافة أصحاب ذلك الطبع وإلاّ لكتب اليونانيون كلهم إلياذات .ويلحظ الغلط التأريخي في استنتاجه لأن أبا العلاء شرح شعر المتنبي ؛ ولم يُرد لأحدٍ أن يشتهر على حساب فنه فشرح دواوينه قاصدا استعراض اجادته للغريب والنوادر.

في الفصل الحادي عشر كان يتيمة الدهر مثاله على "ظهور اللغة الدارجة في أشعار القرن الرابع الهجري ـ العاشرالميلادي يحمل شعر الفرص والمناسبات طابع العربية المولّدة، بمقدار أعظم وأظهر كثيرا من الشعر الفني الرفيع؛ كما تعرض مادة غزيرة، من الشواهد على ذلك، المختارات المشهورة من أشعار القرن الرابع،" 134 وناقش سلوكيات شاعر مغمور (ابن الحجاج ت 391هـ)* لا الفن نفسه، لأن هذا اتجاه في الحياة ظهر في التكسب بالشعر تماما كما في شعر الحطيئة من قبل، وبعده في شعر أبي العتاهية وقبله بشّار وأبي الشمقمق وغيرهم من شعبيي الشعراء واصحاب المكانة الرفيعة ؛بل هو متفش في نقائض جرير والفرزدق ؛ والالفاظ التي ساقها مطبخية وبعض الحيوانات التي لم يعرفها العرب في باديتهم مثل اللقلاق لايُعتد بها في تيار العربية المولّدة فحتّى يومنا حين يقتبس شعب طبخة ما يقتبسها باسمها وتبقى بتسميتها الأجنبية وحتى الأداة المطبخية ونادرا ما شغل مجمع علمي وأهله بايجاد تسمية لطبخة مثل بيتزا أو دولمة أو همبركر فلم نسمع بذلك من قبل في البحث اللغوي * لكن يمكننا القول أن ما أورده فك من استقصاء لغة هذا الصعلوك وغيره يُعدّ توثيقا لتاريخ استعمال الالفاظ وحياتها؛ وساق مفهوما آخر لمبدأ تنقية اللغة كشف فيه النقاب عمّا قلناه قبلا من اعتماده التحليل التاريخي السياسي لحياة الدين الاسلامي ولغته(القرآن) قال " ويعبّر الشاعر في ص 212س14 عن تحقيره لمبدأ تنقية اللغة تعبيرا حادّا عنيفا." 135 وبعض ما ذكره من سمات شعره الهزلي ظواهر لهجية في نطق الكلمات من لهجات القبائل العربية التي توطنت العراق دليل قوة تلك اللهجات وثبات نطقها على الرغم من خروجها من الجزيرة واستيطانها *وعلى دين الاستشراق عدّ النظم بطراز جديد (الموشّح)136ودليل ذلك أن التجديد الفني فيه استهواه، فنقل عن ابن بسّام في المقري الضرير "{عبارته: وكان يصنعها على أشطار الأشعار غير أن أكثرها على الأعاريض المهملة غير المستعملة} وهذا لايكاد يفهم منه إلاّ الموشحات قد أخذت هذه الثروة التي ظهر المتنوعة القوالب منىحيث العروض في القرن الثالث الهجري، تلك الثروة التي ظهر إلى جانبها الشعر القديم، بأوزانه الستة عشر، فقيرا موّحد النغمات." 137ولم يعنّ له ايراد بضعة احصاءات للمؤرخين الذين اقتبس نصوصهم في عدد الجواري الاعجميات أو أصول أولئك الشعراء أو نسبة الداخلين الى أراضي السلطان العربي الاسلامي ليتسنى لنا التوثّق من انتشار العاميّات الجديدة وتيار العربيّة المولّدة لأننا نعلم أن آراء المؤرخين المشرقيين واللغويين في تباين لغة أهل الاندلس عن لغة أهل المشرق؛ فضلا عن كون الموشح عُدّ في الاندلس نفسها فنا شعبيا، لذا وجد نفسه يقرر ".. ان هذا المزج والتقريب بين لغة الكتابة الفصيحة، واللغة الدارجة العاميّة، في الاستعمال الفني، بقي مقصورا على الأندلس؛ على الرغم من أن اسلوب الموشحة قد شقَّ مجالا لاحتذائه وتقليده خارج الاندلس، في شمال افريقية، ومصر وسورية، ومابين النهرين. أما لماذا لم ينفذ الى العراق ؟ فربما رجع ذلك الى أن الموسيقى الفارسية هنا كانت اسبق الى التغلغل والاستيطان، إذ أن الموشحة جزءا اساسيا لايُستهان به في محيط الموسيقى العربية." 138من هنا نستطيع القول أنه اختار اليتيمة وديوان المتنبي وشروحه المتعددة في بقاع العالم الاسلامي، فاحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم أمثلة لتغلغل العاميّة في العلاقات اللغوية في المحيط الاسلامي والاخير أشبه بكتب

الرحّالة بسيطي الثقافة فلا يصح عدّه "أنضج نتاج للعصر الاسلامي الأوسط في دائرة وصف الدول والبلدان،لا يحتوي على طائفة صالحة من الأخبار عن الأمور اللغوية فحسب، بل هو في الوقت نفسه عظيم الفائدة من حيث اسلوبه الخاص." 139وكما اعتاد جعل الوصف الجغرافي والاجتماعي الانثروبولجي عند المقدسي في مسميات مراكب البحر وآلاتها والتقط بضع عبارات للمقدسي حلل معناها على وفق هواه قال"ومما يدل على أن مراده من لغة الأقاليم التي يتكلم بها لغة المثقفين لا لغة الشعب الدارجة، دعواه أن أصح العربية التي يتكلم بها في المشرق، أي في الاقليم اللغوي الفارسي، لأنهم يتكلفونها تكلفا، ويتعلمونها تلقفا؛ ومن هذه الناحية كان ذلك الكتاب كنزا ثمينا من الوجهة اللغوية. فهو يذكر {ص96س11- ص97س2} أن أصح العربية في جزيرة العرب عند هذيل، ثم في قسمي نجد، ثم أخيرا بقية الحجاز، على حين يصف لغة بلاد السواحل الأحقاف بأن لسانهم وحش." 140 في هذه الاقتباسات نجد كتاب المقدسي ناصع العبارة محكم التأليف فيه أحكاما لغوية لااجتماعية في تكوين قبائل الجزيرة وطباع بطون العرب ونطقهم؛ إلاّ أن المقدسي ليس لغويا ولا عالما بالنحو والانساب أو بلغات العرب فضلا على انحيازه لأهل الشام ولسانهم وهم في أغلبهم من أصول نبطية ، نبذها فك في الفصاحة في حين نظر اليها لغويو العرب على أنها عربية قديمة ازالت كثيرا من استعمالاتها العربية الشمالية التي نزل بها القرآن ؛وزد على ذلك فعل النُّساخ في مخطوطات الكتب وهوامشهم وزياداتهم إذ لهم فعل العجب في ارتفاع اسلوب الكتاب هنا وهبوطه حدّ الاسفاف العامّي هناك *نبه عليه فك نفسه بقوله "أما مسألة:كيف كتب المقدسي نفسه في حقيقة الأمر، فلا يمكن الحسم فيها بصفة عامّة. بل لابد في كل حالة خاصّة من الفحص الدقيق. وعلى حين يلقى المقدسي وزنا للأسلوب المجوّد المتنخل، ويكتب فوق هذا في نثر مسجوع، يخلّى كتبة فنيون آخرون، في قمة العصر الاسلامي الأوسط،عن كل طلاء بلاغي، ويستخدمون في كتبهم لغة تُعدّ من العربية المولّدة، لامن حيث قوالبها الداخلية فحسب، بل كذلك من حيث مادتها اللغوية وعباراتها الخاصّة كذلك.وقد حفظ هؤلاء الكتاب من الانزلاق في الشعبية الدارجة بالكلية، أنهم كانوا لايزالون يعيشون في جو من التراث الحيّ للثقافة الاسلاميّة، والتربية اللغوية. فبوساطة المدرسة والمدارسة التي أحاطتهم علما بالعربية القديمة وأعلامها الأوائل، وبسبب اعتمادهم في علومهم الخاصة على أسلافهم أيضا من الوجهة اللغوية، نجدهم محصّنين قليلا أو كثيرا بسياج من قوانين النحو، يراعون قواعدها ولو الى حدّ معلوم يختلف باختلاف الأشخاص."141وهذا نص تنظيري سياسي على الرغم من بضع حقائق فيه لأنه أعاد الحياة للغة التي عدّها (ميتة دائرة)، ووجعل المؤسسات الاسلامية الثقافية تراثا حيّا لايموت وهو اعتراف خطير بحياة القرآن ودراساته التي لاتموت لارتباطها بعلوم ومسائل الشرع والفقه التي تحكم الحياة الاجتماعية للمسلمين والتي لم يجرؤ على إلغائها كليا أي نظام تشريعي عربي أو إسلامي في أية بقعة من بقاع عيش المسلمين. والنص يُقرّ بصريح العبارة إعتماد علوم الاسلاف اللغوية حفظ اللغة بقوانين النحو (التعليم السلفي بمعنً آخر)؛ ودلل على قوله بلغة ابن النديم التأليفية في فهرسه ـ يُذكر ان ابن النديم كان وراقا ونسّاخا للكتب لالغويا أو نحويا ـ وحظه من الثقافة حظ التعلّم لاالتعليم مع ذاكرة لطيفة وقدرة على الجمع والتبويب ؛ فضلا على اختلاف حظوظ الافراد في كل زمان ومكان من تلقي المعارف والملكات والمواهب الفردية في اتقان علوم اللغة طالما تحوّلت الى صناعة والعمل بها ترف حضاري وسلطاني في التأليف والتدوين والاستيزار والقضاء.

عرض النتائج وتقييمها:

ـ كان فك قاصرا عن اجادة لغات العرب التي أوردها المقدسي ومجازات الكلمات عند ابن النديم وغيره قبله* ومع ذلك ففي عرضه لجهد المقدسي فاتحة بحث في بعض جذور عاميّات العرب اليوم لوقدّر لباحث محنك العمل على تدويرها وغيرها في المعاجم العربية المتأخرة لخرجنا بفائدة توثيق معاجمنا لعاميات اهل الامصار الاسلامية وجذورها وتاريخ استعمالها وإن كان على وجه التقريب ،فله سبق محاولة البحث والملاحظة لاالاستقصاء؛ لأن الاخير يفعله جهد اكاديمي متميز بصبر دؤوب.142

ـ على دين اهل الاستشراق في دراسة العربية أو تاريخها كمّا يدّعون جاء فصله الثاني عشر (تاريخ العربية في عهد السلجوقيين) كان الفصل جراة في وضع تحديدات زمنية وفواصل لحياة كل من :

1ـ عربية الادب الفصيحة في أوائل العصر الاسلامي الأوسط حتّى اواسط القرن السابع ـ الثالث عشر "فباستيلاء السلجوقيين على الحكم وصل الاتراك، الذين ينتمون الى أواسط آسيا، والذين اعتنقوا الاسلام فيما وراء النهرين وخراسان ، الى الرياسة والسلطان؛ فاتخذوا دولة الساسانيين ونظمها انموذجا لهم، وصارت الفارسية على عهد السلجوقيين لغة سُدّة الملك، والسفارات الرسمية، والسياسة، والأدب والشعر؛ واخذت تنافس العربية من خراسان الى داخل سورية."143 وخرج لنا برأي قدير لم يذكر عليه مثالا واحدا مفاده "ولما كانوا مقتنعين بأن بقاء سلطانهم. وأمان دولتهم، متوقف على طائفة من القضاة، ورجال الادارة، راسخة القدم في المذهب السنّي المحافظ، لاجرم أسَّس السلاطين والوزراء والولاة وكبار أصحاب المناصب في الدولة، منذ أواسطالقرن الخامس ـ الحادي عشر، مدارس قام فيها العلماء المقربون (وأحيانا كبار القضاة) على تخريج النشء المطلوب، لإدارة الضرائب والدخل والخرج، ورعاية الفقه والقوانين. وقد كان من أثر التحديد العملي لهدف طبيعة التعليم المذكور، أن صار الفقه القانوني مركز الدائرة في منهاج التعليم بالضرورة. أما دراسة النحو، فلم تكن لها إلاّ دلالة علم اللغة المقدس وكان هدفها تعريف التلاميذ باللغة الفصحى." 144 وجعل شروح الدواوين والمختصرات للشروح السابقة للمطولات ولديوان الحماسة وديوان المتنبي مثالا غير صائب على انحسار تعليم العربية كونها تعلم الاعراب المساعد على ادراك احكام الكتاب والسنّة، ولم تفته الاشارة الى تحوّل الشروح في أواخر القرن الرابع ومابعده الى تلخيصات وجمع لآراء الشُراح المتقدمين وعرضها ؛وجاء على ذكر البريزي ت205هـ لمزاولته تدريس العربية في المدرسة النظامية459هـ في بغداد إيذانا ببدء عهدالمدارس المنتظمة بعد إن كانت حلقات في جوامع الامبراطورية الاسلامية؛ وشدّد على تمثيل القائمين على التدريس للمذهب الذي تتبناه السلطة ، في اشارةخفيّة لانحسار العربية بين علوم الفقه والتشريع وليس ذلك صائبا الى أبعد الحدود إنما يشير الى بقاء السيادة لها على رغم من ادعائه اعلان السلاجقة الفارسية لغة رسمية لدولتهم كما قدّم ، وعرج على كتب لحن العوام (الدرة للحريري) جاعلها دليل "لانحطاط الثقافة اللغوية في بغداد إبّان القرن الخامس ـ الحادي عشر.. وكما يؤذن به العنوان لايعنّى الكتاب بالأخطاء اللغوية الجارية على لسان الجماهير العامّة من الشعب، التي كان يوجد إذ ذاك عدد كبير من المؤلفات فيها، بل بأخطاء الطبقات الرفيعة، أي الاوساط التي كان الحريري نفسه ينتمي إليها بأصله ومرتبته." 145،وساق من أمثلة التراكيب والالفاظ شيئا غير قليل غلّطه بعض العلماء وعدّه آخرون من اللهجات أو التطور اللغوي *في محاولة منه لاستعراض معرفته بصرف العربية واتقان أساليبها ويبدو أن الرجل مولع بدقائق البناء العربي للكلمات لما فيه من فن رياضي تفتقر اليه كثير من اللغات ؛ وحاول اصطياد اشكال تطور فيه وفي استعمال العامّة له متناسيا أنه حس لغوي وسليقة عربية لايملكها إلاّ الاقحاح من العرب، فلا يملك فك حق الرأي في تصويب استعمال رفضه العلماء ولا اجازة معنى في لفظ

ورفض آخر؛ ليصل الى "أراد الحريري أن ينفخ من روحه في العربية القديمة الفصيحة، ليبعثها الى الحياة من جديد؛ بيد ان القوة الكامنة والنشاط المتجدد في حياة اللغة الشعبية الدارجة الحيّة،كان أقوى من كل مبادئ المتزمتين وتعاليمهم. 146وفاته أن ذلك ناجم عن قلّة ثقافة المؤدبين وميل الحاكم للجهل وتغليب العنصر الاعجمي،لذا قرر "فلا ذلك الانحلال المطرد في الدول الاسلامية، ولا الاضطرابات الداخلية في دولة السلجوقيين، ولا تلك الحروب العنيفة المحتدمة في وجه الصليبيين 1095-1291م، ولا الدويلات التي قامت بالمشرق، كانت تسمح بتهيئة الجو الصالح، والبيئة الموائمة للعناية بالتراث الأدبي التليد."147.

تسارعت في هذا الفصل آراء فك السياسية والاجتماعية وتقرير آثارها في العناية باللغة والحديث واقامة التشريع عليه؛ بوساطة تحليل آراء ابن بري صاحب الحاشية واعمال ابن مالك وآرائه في فصاحة لغة القرآن ثم الحديث، واخيرا لغة الاعراب، وتناسى الاتجاهات المذهبية التي يمثلها هؤلاء وانهم انفسهم أبناء ثقافات مذهبية في النحو والشرع معا؛ لكن يُحسب للرجل التقاطه بضعة كتب وبضع شخصيات فجرت اعمالهم عناية لغوية وضجة أدبية هنا وهناك ،عمقها وزاد من هالتها ليجعلها مدار الفصاحة وجهود العرب والمسلمين بلغة القرآن الكريم، ملتقطا حديثا هنا ولفظا هناك ، مجازا في هذا وحقيقة في ذاك، واستعمال عامّة هنا وترك لغة عالية هناك، وهو مالم تخل منه العربية منذ حياتها في قلب جزيرة العرب؛فاته التركيز على تفاعل اللغة بالاستعمال اليومي ودخول العامّية عليها يعني ازدياد اعداد الناطقين بها واسلامهم وان لغة المثقفين هي لغة عالية في كل بقعة من بقاع العالم؛ لكن العربية تفرّدت بين لغات العالم الحيّة بوجود كتاب مقدس عمره1430 عام ونيف مازال كثير من العرب يقرأه اسلامهم ومسيحهم وانه موضع العناية ولغته مثال في مناهج مدارسهم، يرفعون شأن مَن يتقن معانيه وتراكيبه*؛ فنجد عبارته "هكذا لم تعد عربية الأدب في العصر الاسلامي الأوسط منذ مختتم القرن الهجري الثالث، لسانا طبيعيا لطائفة من الشعوب، بل لقد تحولت الى لغة أقامت قواعد النحو ومبادئها أساسا لتكوينها الحقيقي، وطابعها الداخلي ولم تعد العناية بسلامة اللغة من حيث ظواهر الإعراب والتصريف، التي ضعف إحساس الكتّاب بها، أهم من العناية بحشد طائفة من العبارات القديمة، والاستعمالات العربية الغريبة، التي تقحم إقحاما ولكن دون اقتصار على حدود استعمالها البدوي القديم... وكلما أخذت الرابطة التي كانت تربط بين جميع البلدان الاسلامية من ناحية الثقافة والعلم، تضطرب عُراها، وتضعف أواصرها، بسبب الحروب المتتالية، ازداد الانحلال والانحطاط في المستوى اللغوي والثقافي العام، واستقل كل إقليم بثقافة خاصة، ولهجة لغوية محلية." 148دليل على ماقرره ساق (الاعتبار) لاسامة بن منقذ وشرح ابن يعيش للمفصل وتراجم الأطباء لابن أبي أصيبعة ليؤكد نضج "اللهجات المولّدة بقوة أشد من ذي قبل على لغة الأدب، وأن تأخذ هذه اللغة في كل إقليم طابعها المحليّ. وفي ذلك تُقدم لغة كل كاتب في ذلك العصر المتأخر، مشاكلها الخاصّة؛ ولابد من محاولات كثيرة لكشف النقاب عن جميع هذه التفاصيل." 149وهذا اعتراف صريح بأن عمله محاولة لم تستطع بلوغ هدفها الذي ألفت لأجله، لاسباب متعددة (كثرة المؤلفات العربية في عصور الانحطاط الثقافي، عدّ بعض المستشرقين تلك العصور عصور ازدهار التأليف الموسوعي العربي لاسيّما هاملتون غب إذ عدّها العصرالذهبي في التأليف في تاريخ المدن؛ الشام ومصر وبغداد فضلا عن المختصرات والشروح الجامعة لكتب اللغة والشعر والحديث وحتّى التأليف في تفسير القرآن، تحاشى أكثر المستشرقين حصر دراسة العربية وتطورها في بضعة كتب لعلمهم ريادة العرب في التأليف المعجمي الذي ضم متأخره عاميّات ولهجات الاقاليم الاسلامية مما شاع وكثر استعماله حتّى تعذر فصله من الاستعمال الفصيح القديم ولقدرة العربية على معاملة الدخيل معاملة المعرّب والاشتقاق منه حتى انقلبت صورة نطقه وجذره ، ثم كثرة المجاز في العربية الذي تحوّل الى حقيقة في الاستعمال ولم يعد اعتناء اللغويين قادرا على رد استعمال أكثره على الحقيقة،لاستعمال القرآن له على وجه المجاز فصار بكثرة الاستعمال حقيقة مثل الكفر والصلاة،

والهداية، والظلم وجاز، والجزية، وغيرها كثير؛والعربية لغة تشبيه واستعارة حتّى العظم وفي عاميات العرب ما لايُعد ويحصى من ذلك، وكتب الامثال تشرح ذلك ومازالت أمثالهم مُتشاركة المضمون وان اختلف لفظها بكلمة أو تقديم وتأخير وهذا من الاستعمال الشعبي الذي أغفله فك وغير ذلك مما لو اردنا إحصاءه لتعذر ذلك في بحث معدود الصفحات) وكما اعتاد أهل البحث الاستشراقي المتأخر محضَ (عود على بدء) لاستشراف المستقبل للغة عاميّة قادمة لامحالة ولمصر رائدة الطباعة والترجمة في العهد قصب السبق في توقعاتهم؛ لسبب بسيط أنها أرض شرارة الثورات ورافعة لواء القومية، فضلا على كثرة سكانها واعتزازهم باصول فرعونية وخروج دعوات العامية فيها من أربعينيات القرن الماضي.

ولفك فضل التنويه بارتفاع علم التأليف في علوم اللغة و العودة لتنقية اللغة مع ارتفاع الدعوة والمناداة بالعروبة والحكم العربي ـ رافقت حركة الملك فؤاد وما بعدها لأربعة عقود نهضة علمية في انشاء المؤسسات والجامعات المعنيّة بالعربية وعلومها، انتشرت شرارتها في دمشق وبغداد وبضع دويلات من الخليج ومازالت الاولوية فيها للتوثيق العربي ونشر لواء مخطوطات علومها واستقطاب الاقلام الداعية للحفاظ عليها عندهم ـ ومن المسلم به أن الانفاق الحكومي في رفع لواء العربية والفصيحة والحفاظ على هوِّيتها هو حفاظ على هوِّية الحاكم نفسه ؛ لسيل المعلوماتية التقنية المتدفق بمسمياته من الخارج فضلا على هجرة أبناء العرب للتعلم في الخارج .

أدرك فك أهمية كل من :

1- الترجمة في توحيد لغة المثقفين العرب لأنها غالبا ما تكون فصيحة وإلاّ فقدت عددا لايحصى من القرّاء بعاميتها؛ والترجمة تعني حركة المجامع العربية القائمة على تنقية اللغة من الغريب والدخيل بتعريبه؛ فضلا على رصد حركة المثقفين واتجاهاتهم الفكرية وطبيعة ثقافة المجتمع الرفيع والعاميّ واتجاهاته.

2- تأثيرالاحتلال الغربي في اللهجات المحلية لافي العربية الفصيحة وحدها، وهو أمر خضعت له اللغات الأوربية أبّان الاحتلال الالماني الأول حتى 1918م وخضعت لمفرداته الايطالية والفرنسية وعكس ذلك مع اجتياح قوات التحالف لايطاليا وفرنسا ،ولكن بقدر محدود؛ تماما كما خضعت اللهجات العربية له في مصر وبلاد الشام يستثنى من ذلك دول المغرب العربي لأن تأثير الفرنسية ممنهجا ومخططا له لا اعتباطي ، بفعل الفرانكفونية والناطقين بها.

3- الأمية التي خلقها الاحتلال العثماني كان علاجها بوساطة تعليم موحد لقواعد الكتابة والنحو العربيين، فكانت عظيمة الفائدة لم تستطع صيغة كتابة أخرى فرض نفسها على حركتي التعليم الالزامي ومحو الأميّة.

فضلا عن البث الاذاعي الموحد بالعربية الفصيحة مما ساعد على انتشار نطقها واشاعة الفاظها.

4- وأغرب ما عدّه فك موحدا للألسنة "وينفي الفروق اللغوية، التجنيد في الخدمة العسكرية، إذ يجمع الرجال من المناطق اللغوية المختلفة في حياة واحدة. وأبعد من ذلك أثرا ما تقوم به في هذا السبيل مسارح السمرالشعبي، التي تقدم الأغاني والمقطوعات الفنية." 150 يشار الى أن الحياة العسكرية موحدة الثقافة اللغوية المفروضة في السلام والأوامر والشيفرات والتحيات ومسميات الرتب والتسليح وغيرها .

5- وجاءت بعد ذلك "أصوات في دوائر بعض دعاة الإصلاح في مصر، تنحي بالنقد على العربية الفصيحة نفسهان وتتحدث عن صيغ التعليم اللغوي بصيغة جديدة ، توائم قواعد التربية اللغوية الحديثة"151ويعني بها الدعوة للتعليم بالعاميّة او تغيير رسم الكلمة الى الحرف اللاتيني التي قمعتها دوائر الدولة التعليمية والدينية (الأزهر) والحفاظ على هُويّة العربية .وما تقدم يؤكد أن دراسة الاستشراق والمستشرقين في معظمها دراسة:

1- تخدم حركات الاستيطان ودراسة التكوين المجتمعي للعرب.

2- دراسة ترى الدين ممثلا بالقرآن واللغة عامل توّحد لقوى عالمية إن أحسن استغلال وحدة لغتها ومواردها البشرية والاقتصادية في موقع مهم من العالم تشكل خطرا على الأمن الاقتصادي الاوربي المسيحي حتّى خارج أوربا فضلا على عنصر صغير مخدوم لغويا واقتصاديا داخل الوحدة اللسانية العربية أي دولة اسرائيل.
3- للغرب فضل النهضة الصناعية واكتشاف الثروات ويجب أن يخضع كل مل يتصل باماكن وجودها للدراسة لغة وتقاليد واصول ومعتقدات دينية.
4- تصدير تلك النظريات والدراسات لأجيال جديدة تتعلم اللغة والدين في أسرها بتقديس لم تستطع أيّة نظرية التغلب عليه فلابد من وضع أسس ومفاهيم لتاريخ حياة وموت لغته بوصفها لغة المغلوب لا الغالب .
5- إدعاء معرفة الآخر حتى يعتقد كثير من أبناء الاجيال الجديدة التي تفضل استلام المعلومات سماعيا،أومن طريق الرؤية أن الاستشراق يعرف تاريخها وأصولها أفضل حتّى من علمائه القدماء ونفي المنهجية عن أعمال علماء العربية؛ بتصدير معلومات علمائهم وطبيعة منطقية دراستهم مرّة اخرى اليهم مترجمة ،فضلا على احتكار مراكز التعليم المرموق والمواقع الاستشارية والتدريب والتنظير في دولهم.
6- النجاح الى أبعد حد في نشر مفاهيم الدراسات الفقهية والتاريخية، ودراسة اللغة عن طريق علماء الغرب لاالشرق واحتكار النشر الأول لمخطوطات العرب والاسلام عن طريق علمائهم وجامعاتهم؛ وهو أمر نجح فيه الغرب الى اليوم للتفوق العلمي والتخطيط الدؤوب وإن كان في الأربعين سنة الأخيرة أضعف بكثير واتخذ وجهات غزو فكري جديد؛ لعزوف الاجيال الجديدة عن القراءة.
7- محض فصلا اخيرا في معنى اللحن وتاريخ اللفظ لاستعراض المعلومات ، وجعله مرجعا للطلبة في معناه ؛ خالطته فوضى نقل معاني اللفظ وتاريخ استعماله.

الهوامش:
1-العربية دراسات في اللغة واللهجات والاساليب .يوهان فك ترجمة د.عبد الحليم النجارالقاهرة ،دار الكتاب العربي1370هـ -1/1951.
2- م.ن ،5.
3- اللغات السامية تيودور نولدكه،ترجمة د.رمضان عبد التواب دار النهضة العربية1963،81-82 .
*** البيان والتبيين الجاحظ تح عبد السلام محمد هارون 1418هـ -1998مطبعة الخانجي ط 7، م1/64-65.**
4 - العربية دراسات .أقر أن لغة القرآن لاتختلف كثيرا عن لغة الشعر الجاهلي 6 قال:"..وصريح من هذا أنه لم يقم عند محمد ومعشره فرق معهم بين لغة القرآن وبين لغة العرب، أي قبائل البدو: ولا يمنع من ذلك انه كانت هناك فروق بين لهجة مكة ولهجات البادية، وبين هذه الأخيرة بعضها مع بعض"،4.
5- م.ن، 7.
6– م.ن،7.
7- م.ن، 9.
8-م.ن ،9.

9-البيان والتبيين م1/68.
10- العربية دراسات 10.
11- م.ن، 10.
12- البيان والتبيين م1/15-16.
13- العربية دراسات 12.
14- الأغاني لابي الفرج الاصفهاني ج2/107 .
15- ضرب عنترة مثالا على الزنوج من جهة الأم ، والعرب من جهة الأب على اصطباغ ألسنتهم بلغة ساداتهم ، وهو مثال غير موفق لانه ولد في أرض العرب وعاش في كنف أبيه عبدا وبيئته عربية خالصة وبيئة أمه كذلك.فضلا عن صهيب بن سنان صحابي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صاحب اللثغة المشهورة ،وسحيم عبد بني الحسحاس. فلا ندري اراد بالزنوج من الجواري والعبيد من ولد بين قبائل العرب أو استجلب (شعراء).ولانعلم أحدا منهم كذلك.
15- العربية دراسات 13.
16- م.ن،13-14.
17- يُنظر البيان والتبيين م1/72.
18- المعرّب للجواليقي
19- العربية دراسات19 ويُنظر ما قاله في لفظ روذق في بيت جرير من النقائض 845، ويُنظر لسان العرب م1/3730مادة مصص والممصوص من النساء فسّرها المهزولة من داء يخامرها كأنها مُصّت. وينظر فقه اللغة ممصوص لهجة تميم53.
20 - معاني الابنية في العربية.د.فاضل صالح السامرائي.منشورات جامعة بغداد ط 1/1401هـ - 1981 ،18-19.
21- العربية دراسات 18-20 وردت في شعر الفرزدق.
22- م.ن 21.
23- المصدر السابق.22.
24- م.ن .يُنظر ما قاله في هدية الحجاج الى جرير جارية الري أم أولاده، وهدية الوليد بن يزيد لابن ميّاد جارية طبرستان 62.ويُنظر متابعته لاخبار الحجاج وانحيازه لشخصيته 28وما قاله في الحسن البصري 31 وأخذ أبي عمرو عنه ثم نقض روايات فصاحته بروايات لحنه 33وما قاله في تنمية الفقيه السوري الكبير مكحول لهجته وفاته 117هـ وأصله من كابل وما قاله في الشعبي المحدّث 72..
- يُنظرالنجوم الزاهرة لابن تغري بردى ط.دار الكتب المصرية ج1/210.
25- تعقيبات على الاستشراق زادوارد سعيد ترجمة وتحرير صبحي حديدي . المؤسسة العربية للدراسات والنشر/ دار الفارس للنشر عمّان1996ط1/34.
- ملامح من تاريخ اللغة العربيةد.أحمد نصيف الجنابي دار الرشيد1981،95.
26- العربية دراسات26.
27- م.ن28نقلا عن البيان والتبيين ج 2/ وارشاد الاريب ج 1/25ويُنظر ما قاله في سليمان بن عبد الملك وابيه وفصاحتهما.
28- تعقيبات على الاستشراق35-36.
29- العربية دراسات 28.
30-م.ن30.
31-م.ن 31ولحظ المحقق أن القاسم بن محمد بن القاسم ليس فاتح الهند القاسم بن محمد الثقفي 94هـ لأنه قتل 95هـ لأن ان كان ميلاد ابنه سنة 90هـ كان عمر ابيه الممدوح 17سنة عند فتح

الهند، فلا يعقل أن يمدحه رؤبة المتوفى 110هـ .يُنظرتاريخ الطبري ج1256/2،عيون الاخبار ابن قتيبة ج229/1.
32- م.ن.31.
33- م.ن.31.
34- م.ن.31 .
35- م.ن. يُنظر تغليط الجاحظ قرائتي الحسن البصري (شياطون) ىية 210، وصَادِى بدل صاد آية1ويُنظرالبيان للجاحظ ج219/2.
36- م.ن. 33-34وجعل حياة أبي العطاء السندي وشعره مثالا آخر لنظريته34-35.
37- م.ن.36-49وما قاله في أبيات عُدت مخالفة في أسليبها لأقيسة النحاة فيالنظم، وهي لاتصحّ بحال من الأحوال لتطبيق نظريته تيار العربية العامية الجديد عليها؛ لأنها نظمت بالعربية الفصيحة وهي من الضرورات الشعرية.
38- م.ن. 37وجعل آراء الأصمعي حجة في ذذلك.
39- م.ن. 39ويُراجع نقد الشعر لقدامة 86.
40- م.ن. 40.
41- م.ن. 41أشار لكتاب ابن كناسة 207هـ في سرقات الكميت وهو مفقود.
42- م.ن. 43وينظر الأغاني ج 122/4.وما نقله فك في استعمال ذو على هيأة المذكر السالم الذوين وعُشار من عشرة على صيغة فُعال وأبرق أو أرعد من الثلاثي وفهمه لفظ حباحب اسم رجل من اللهب أو الدويبة الحمراء 42-43.
43- م.ن. 44يُنظر ما نقله من تخطئة الاصمعي ذي الرمة في لفظ زوج ؛ وهي لغة أدنى فصاحة من لغة القرآن في معرض حكمه على درجة فصاحته، استعملها الفرزدق ومستشهد بشعره.ووثق له المترجم استعمال انسانة في شعر المتنبي للشمس وللموصوفة نقلا عن ديوانه وتاج العروس ج99/4.
44- م.ن.48
45- م.ن. 48.
46- م.ن. 50.
47- م.ن. 50.
48- م.ن. فقه اللغة د.حاتم صالح الضامن.دار الحكمة للطباعة والنشرالموصل1990،44.
49- العربية دراسات 52في سرده لاسلوب بعض اوائل النحاة.
50- م.ن. 53ويُراجع طبقات ابن سلاّم م1/ص5/س16.فيىمعنى السليقة.
51- م.ن. 55.
52- م.ن. 55وأشار لترجمته كليلة ودمنة الهندية عن الفارسية وانتشارها الى اللغات السريانية والعبرية .
53- م.ن. 56.
54- م.ن. 58.
55- فقه اللغة 30.
56-العربية دراسات59.ويُنظر الصفحة نفسها محاورة أبي عمرو بن العلاء وعمرو بن عبيد في معنى وعَدَ وأوعد، ووعد ووعيد.
57- م.ن. 60ويُنظر أخبار لحن المنصور نقلا عن ياقوت في إرشاد الأريب ج33/1.
58- م.ن. 61نقلا عن السيرافي في أخبار النحويين 40و90ويُنظر ما أورده من أبيات في نحاة الكوفة 62؛ أسس فك على وفقهما نظرية الجنس في التقعيد، ويُنظر أخبار حمّاد 62-63ورأيه في

جناد بن واصل 63وفي الفقهاء ولحن واحد من أصحاب المذاهب (أبي حنيفة) 65وما قاله في قراءة (ترزقانِهِ) بضم الهاء وقول ابراهيم الحربي فيها والأخبار التي نقلها66-67.
59- م.ن. 67ويقصد بالخطيب شبيب بن شيبة.
60- م.ن.67نقلا عن بيان الجاحظ ج134/1.
61- م.ن. 69نقل ذلك عن ياقوت في إرشاد الاريب ج 109/6وتاريخ بغداد ج152/11والمسعودي في مروج الذهب ج258/2والصولي في أدب الكتاب 133.
62- م.ن. 70ويُنظر ما قاله في لحن نافع حين قرأ معائش وعللها برفض سيبويه مصائب بدلا من مصاوب بوصفها صيغا جديدة على رغم إطرادهما في الاستعمال.
63- فقه اللغة 43- 44.
64- العربية دراسات71.
65- فقه اللغة 14ويُنظر ما نقله فك 72-73.
- يُنظر ما قاله في أصل هشيم بن بشير ووكيع بن الجراح 74-75وتعليله شبهة اللحن لعهد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلموعهد عمر والخلط بين عمر الأول والثاني77-78..
66- فقه اللغة 31ز
67- العربية دراسات 79-80في اشارة خفية الى حاجي خليفة في كشف الظنون وعنوانه (المقصور والممدود)ومع ذلك ساق مثلا من بيان الجاحظ للخلط بين الممدود والمقصور ، والفاصل الزمني بين حاجي والجاحظ كبير.وأمثلته في يوسف بن خالد التيمي المعاصر لعمرو بن عبيد 144هـ.
68- م.ن. 80-81.وانكر نسبة البيت لطرفة لنسبته لرؤبة وما أنكره وأورده لحنا ثبت فصيحا في تاج العروس ج299/10.
69- م.ن. 82-83ويُنظر ماقاله في سرجويه الطبيب الفارسي ومخالطته محمد بن عبد الوهاب الثقفي له بالفارسية فقاس على هذا الخبر اجادة دوائر الاشراف لها 83وما قاله من حوادث ساذجة84.
70- م.ن. 85-95.
71- م.ن. 85وما نقله في خبر نصيحة ابي عبيدة86.
72- م.ن. 86وضرب لهذا مثلا غلط الكسائي في فهم الصورة المعكوسة 87الجديدة المستعارة التي رسمها الفرزدق في جعل المفعول فاعلا وغلطه في جعل عييت بمعنى أعييت.
73- م.ن.87.
- يُنظر الاغاني ج78/17،81مجهول.
74- العربية دراسات94في اشارة لشعر أبي النضير الاغاني ج74/20.
75- م .ن. 95وما أورده لمحمد بن يسير ، غلط في ضبط قنعَ (القُنوع) من السؤال لا من الرضى ، ويُنظر جمع الفرزدق شواهين أو شياهين 405 والأغاني ج 133/12 - 135والبيان والتبيين ج123/2.
76- م.ن. 95.
77- فقه اللغة 53.
78- الاشتقاق والتعريب .عبد القادر المغربي القاهرة 1947،26.
79- العربية دراسات 95.
80- م.ن. 96.
81- الأغاني ج 23/4-24ويُنظر لفظة (غفص) التي وردت في شعر أبي العتاهية ج 25/4وأبيات ارجوزة الامثال لأبي العتاهية 30/4-31. وما أورده في وصف الناقة ج47/4.

- يُنظر ج4/36-37 في أخبار أبي العتاهية.
82- م.ن ج2/56.
- مخمسة أبي نواس في حياة الحيوان للدميري ج1/124طبعة بولاق 1347هـ.
83- العربية دراسات 98.
- ذكر ذلك غير واحد من الباحثين صبحي الصالح في دراسات في فقه اللغة ، فقه اللغة د.حاتم الضامن، د.هاشم الطعّان في دراسات في اللهجات العربية نقلا عن مصادر قديمة.
84- العربية دراسات 100.
- ينظر م.ن.100-101.
85- م.ن 100-101.
86- م.ن.101.
87- م.ن. 101.
88- طبقات فحول الشعراء م1/279-292ويُنظر رواة الجمحي.
89- العربية دراسات 103.
90- فقه اللغة 150.
91- م.ن.150وما قاله في استعمال الصاد بدلا من السين 104.
- ينظر العربية دراسات سمات العربية المولدة عنده 109-110وهي لغة عند المرزوقي في شرح ديوان الحماسة م1/ج1/ 20.
92- م.ن.105ويُنظر مجموعة الأفعال التي أوردها صفحة 108-109في ترجمة الأنجيل من القرن الرابع/ العاشر معبرا عنها بالنصوص النصرانية . وهي من أثر الترجمة.وفهمه لتقديم الفاعل (المبتدا) على الفعل في الجملة العربية مما جعله سمة لتلك العربية.
93- م.ن . 105.
94- م.ن.105ويُنظر ما قاله 106وما بعدها.
95- م.ن.110.
96- فكرة التاريخ كولنجود214.
97- فلسفة التاريخ والحضارة د.حامد حمزة حمد الدليمي دار الطيف واسط2004، 34- 35.
98- م.ن.43.
99- م.ن.280-281.
100- العربية دراسات 131.
- يُنظر المصدر نفسه وما عرضه من تطور دلالي في استعمال الألفاظ 133-134من كتاب أدب الكاتب.
101- م.ن.132.
102- م.ن 134.
- يُنظر مثلث قطرب.
103- العربية دراسات 136 وذكر أمثلته على لحن الشعراء لفرد مجهول في عالم الأدب (أحمد بن المدبر).
- سبق وأشار المؤلف الى جارية الحجاج المهداة لجرير أم أولاده وهدية زياد لابن ميّاد وهن أمهات أولادهما ، فضلا على زواج أهل البيت بجوار وأعاجم.
104- ينظر أنساب قريش ومثالب العرب .
105- العربية دراسات 140-141.
106- م.ن. 142.

107- م.ن. 143.
108- م.ن. 144هذه آراء أثبتها الجاحظ في بيانه وفي البخلاء من قبل وله قصب السبق فيها .
- يُنظر م.ن.144.
109- م.ن.144.
110- م.ن. 145نقلا عن قدامة بن جعفر 124في نقد النثر.
111- م.ن. 147وساق المترادفات التي ساقها قدامة كمادة أساسية للكاتب الجيد فكتابه تعليمي بامتياز.
112- م.ن. 148.
- يُنظر م.ن.149.
113- الفصيح لأبي العباس ثعلب ت ود د.عاطف مدكور دار المعارف 260.
114- العربية دراسات 151.
115- م.ن. 151.
116- م.ن. 152.
- يُنظر جواهر البلاغة للسيد أحمد الهاشمي
117- يُنظر دراسات في اللهجات العربية د.هاشم الطعان.
118- العربية دراسات 153 ومن العجيب وصفه لغة البدو " إذ ذاك أيضا في مستوى من الخلوص والنصاعة لاتدانيه لغة الزراع والحضريين" في الصفحة نفسها وهذا من الخلط في آرائه والتناقض.
119- صفة جزيرة العرب لابن يعقوب الهمداني تحقيق الأكوع 119.
- يُنظر الطبقات م1/ .
120- العربية دراسات 156وينظر صفة الجزيرة 250 وذكر ظواهرهم اللغوية وليست من تيار العربية المولدة .
- يُنظر فقه اللغة 49والطمطمانية"عبارة عن ابدال لام التعريف ميما مثل طاب امهوا وصفا امجو أي طاب الهوا وصفا الجو وروي ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم نطق بهذه اللغة في قوله (ليس من امبرامصيام في امسفر) يريد: ليس من البر الصيام في السفر."
121- العربية دراسات 159-160.
122- م.ن.160ونقل الهمز وتركه وهو من فروق لهجة الحجاز من لهجة تميم .
123- م.ن.166ونقل أبيات الكلبي في هجو النحويين.161.
124- م.ن. 165.
125- م.ن. 165.
- يُنظر مقدمة محقق أمالي ابن الشجري ج4/1ورأيه في التآليف اللغوية عصر السجوقيين والتبدل السياسي.
126- م.ن. 168.
127- م.ن.169-170 يُنظر إعراب القرآن للزجاج وتوجه فاقطعوا أيديهما أي يديهما254.فالتعبير لغة فصيحة عالية.
128- م.ن. 170.
- يُنظر ماأورده في ابن عبّاد ورأيه في جهد ابن فارس اللغوي 174-175نقلا عن ياقوت في إرشاده ورأي محقق الامالي.
129- م.ن.173- 174.

130- م.ن.176.وينظر 184قوله"..ويحط من قيمة أفخم مطالعه، ويهزأ من ثقة الشاعر بنفسه، ويتندر باسلوبه ،من حيث لايتورّع ابن عباد أيضا عنإساءات للفهم مقصودة عن خبث ونكاية.".
- يُنظر م.ن .168س/3-10معتمدا آراء الثعالبي في طواف الأدباء واللغويين، اليتيمة ج123/4وما بعدها، وطوافهم بحثا عن الدعم المادي أو الاستقرار الاجتماعي أو بعدا عن الاضطهاد السياسي أو المذهبي.
131-م.ن. 176- 177.
132- م.ن. .177.
-يُنظر ما أورده من تراكيب المتنبي ولغتا169- 173.
133- م.ن. 180قال:استعمل فعل المطاوعة انهوى بمهنى هوى وسقط يُراجع شرح الواحدي لديوان المتنبي 464وشرح درة الغواص63.
134- م.ن. 182- 183.
135- م.ن.184.ويُنظر 184- 185والظواهر اللغوية التي ذكرها فضلا عن أن الموشح لم يكتب بعامية إلاّ متاخرا عن ظهوره وكانت ، وكانت الخرجة عامية أعجمية مغناة على لسان جوار اعجميات بلغاتهن لأنه فن شعبي وبعض الموشحات بلغت قمّة الجزالة وسلاسة الالفاظ في بقاع أخرى من اراضي الامبراطورية الاسلامية لما فيها من تصوير بديع ومغازلة الحواس السامعين ينظر 186-190.
136- م.ن. 186- 187.
137- م.ن. 186.
138- م.ن. 189-190.
139- م.ن. 191.
- يُنظر يتيمة الدهر ج 2/ 211- 270.وينظر العربية دراسات ما أورده من غزل بالمذكر فارسي الالفاظ لابن الحجاج واستعماله(هَمْ) من عاميّة بغداد بمعنى أيضا وغيرها من عامية بغداد في المئة الثالثة ،ص184- 185.
140- العربية دراسات 192.
141- م.ن. 205.
- م.ن.203- 206.
142- م.ن. 201-207وما ساق ص194-207 من مسميات الحرف والتموروالثمار والاوزان مما ذكره قبلا الجاحظ في بيانه.و211-215في لفظ أسباب بمعنى أقارب وطنز بمعنى مزاح.
143- م.ن. 208.
144- م.ن. 209.
145- م.ن. 212.
146- م.ن. ينظر ما أورده من 194- 227ونصه في تقديس العربية 201وما طرأ من استعمال المجرور بدلا من المرفوع كوبين بدلا من كوبان ونسختين بدلا من نسختان وفاته أن ذلك على تقدير محذوف أو نزع الخافض.
147- م.ن. 222يذكر أن عصر لسلجوقيين شهد مؤلفات ضخمة في النحو بلغت به ذروة النضج مثل أمالي ابن الشجري وشهد عصر الغزوات الصليبية افضل مؤلفات التراجم العربية الضخمة والمعاجم .
148- م.ن. 227- 228لقد حدد أحمد أمين من قبل عهد عبد الملك بن مروان زمنا لفرض العربية لغة رسمية لاراضي الخلافة الاسلامية ودواوينها وخراجها ؛ وقد يكون ذلك ادعاء منه لموت

العربية وابتداء عصر التدوين بالفارسية ؛ فكتابان ذكرهما ليسا دليل سيادة لغة فارسية طوال 300عام.
149- م.ن. 229 وهوتكرار للألفاظ السابقة في غلطات الكتاب من الدرة.
150- م.ن. 233.
151- م.ن. 233- 234
المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم .
-أخبار النحويين البصريين للسيرافي طبعة كرنكو.
- الاشتقاق والتعريب عبد القادر المغربي القاهرة 1947.
- الأغاني لابي الفرج الاصفهاني تح ود د.إحسان عباس، د.ابراهيم السعافين، الاستاذ بكر عباس.م1-2-3-4-12-17-20.دار صادر بيروت ط1429/3هـ -2008.
-إرشاد الأريب ج1و6.
-إعراب القرآن للزجاجي نسخة حجرية.
- أمالي ابن الشجري هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة الحسني العلوي تحقيق ودراسة د.محمود محمد الطناحي مكتبة الخانجي القاهرة 1412هـ -1992.
-البيان والتبيين لابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظتح وشر محمد عبد البسلام هارون مكتبة الخانجي القاهرة ط1418/7هـ -1998 ج1-2.
- تاج العروس للزبيدي ج4.
-تاريخ الأمم والملوك تاريخ الطبريلمحمد بن جرير الطبري المعروف بتاريخ الطبري اعتنى به أبوصهيب ، ط/بيت الافكار الدولية الاردنـ السعودية.
- تاريخ بغداد ج11 للخطيب البغدادي،.طبعة دار الكتب العلمية،بيروت..
- تعقيبات على الاستشراق إدوارد سعيد تروتحر صبحي حديدي دار الفارس للنشر عمّان1996.
- جواهر البلاغة السيد أحمد الهاشمي ط/ بغداد .
- حياة الحيوان للدميري ج1 ،ط/ بولاق 1347هـ .
- شرح ديوان الحماسة لابي تمام .تأليف أبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي علق عليه وكتب حواشيه غريد الشيخ م1،دار الكتب العلمية ط1424/1هـ ت2003.
- صفة جزيرة العرب لسان اليمن الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني تحق محمد بن علي الأكوع.
- طبقات الشعراءم1-2 محمد بن سلام الجمحي قراءة وشرح محمود محمد شاكر دار المدني بجدة 1400هـ -1980.
- العربية دراسات في اللغة واللهجات والاساليب يوهان فك ترجمة د. عبد الحليم النجارمطبعة دار الكتاب العربي القاهرة 1370هـ - 1951.
- عيون الأخبار ابن قتيبة الدينوري ط/ بولاق.
- الفصيح لابي العباس ثعلب تحقيق ودراسة د.عاطف مدكور. دار المعارف
- فقه اللغة د. حاتم صالح الضامن مطبعة دار الحكمة الموصل1990.
- فلسفة التاريخ والحضارة د. حامد حمزة الدليمي دار الطيف واسط2004.
- لسان العرب لابن منظورم2 مراجعةوتدقيق د.يوسف السباعي، ابراهيم شمس الدين، نضال علي مؤسسة الاعلمي للمطبوعات بيروت ط1426/1هـ - 2005.
- اللغات الساميّة تيودور نولدكه ترجمة د.رمضان عبد التواب دار نهضة مصر العربية1963.
- مثالب العرب لابي عبيد 2005 .

ـ مجلة معهد اللغة العربية ج/ أم القرى مكة المكرمة العدد الثاني 1404هـ - 1985 بحث بعنوان أبرز خصائص لغة هذيل.د. عبد الرحمن محمد اسماعيل.
ـ مروج الذهب ،ج1 للمسعودي طبعة حجرية .
ـ معاني الابنية في العربية د. فاضل صالح السامرائي منشورات جامعة بغداد ط 1401/1هـ - 1981.
ـ النجوم الزاهرة ج1 لابن تغري بردى طبعة دار الكتب المصرية .
ـ نقد النثر قدامة بن جعفر دار الكتب العلمية 1416هـ - 1995.
ـ يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ج2-4 للثعالبي .

نظرية المستشرق فك تيار العامية ومجاورتها للعربية الفصيحة بين التاريخانية والتأصيل

عذراء محمد راغب التميمي

المستخلص
إن البحث في تطور الفاظ وأساليب لغة ما لايمكن الوصول فيه الى نتائج محددة ومدركة لابعاد تلك اللغة ما لم يتصدى لذلك البحث فريق متخصص في علوم تلك اللغة وتطور معجمها، زمنيا واجتماعيا . وما فعله المستشرق فك ـ على الرغم من الجهد الفكري وايدولوجيا النهج التاريخي للفرد الغالب في النظر لكل ما يتعلق بالمغلوب ـ جاء هزيل النتيجة على أقل تقدير في تقييم توزع لغة ذات صبغة دينية في مساحة واسعة من أواسط آسيا حتّى جبال البرانس في غضون قرنين من الزمن واستقرارها بقوة في لسان السكان الذين خرجت اللغة العربية من موطنها اليهم ؛ فلم يخرج علينا إلاّ ببضع ملحوظات . قدّم هذا البحث قراءة في قيمة دراسة الفكر اللغوي لصاحبها الذي أراد لها أن تكون مصدرا للدارسين في ميدانه.